

الأسيراء والمعراج

ألفه
خادم القرآن والسنة

الدكتور الشيخ

محمد بن محمد أبو شهبته

أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى

رحمه الله تعالى

طبعة جديدة
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

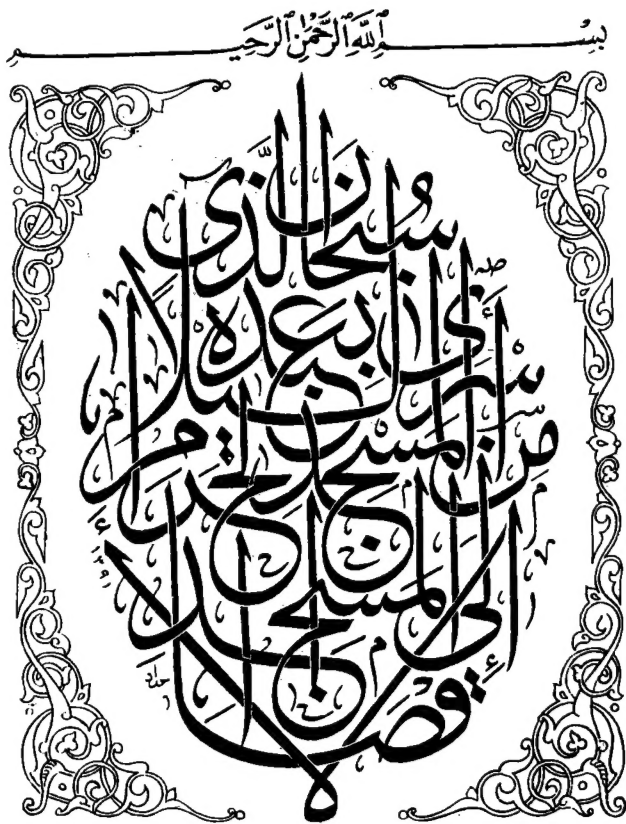


حقوق الطبع محفوظة لمكتبة العلم
بالتعاقد مع ورثة المؤلف (رحمه الله)

مكتبة العلم



١٠. الشارح الشيخ علي الفايدي - خلفه مسج الجمهورية - القاهرة : ٣٩٠٩٨٣٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القدير فلا يعجزه شيء العلم فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وصفوة رسله المؤيد بالمعجزات الباهرات ، وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان .

« أما بعد » فهذه رسالة في الإسراء والمعراج بينت فيها حقيقتها ، وإمكانها وقصتها مستقاة من أوثق المصادر وأصح الروايات .

وقد قدمت بين يدي البحث خلاصة في حاجة البشر إلى الرسل وتأييد الله سبحانه لهم بالآيات والبيانات ، وملاءمتها لما اشتهر في أعصارهم ، وما خص به نبينا محمد ﷺ من المعجزات المتكاثرة ولا سيما المعجزة العظمى وهي القرآن الكريم ، ثم أخذت في تجلية الموضوع الذي إليه قصدت ، وما يتصل به من الكشف عن حكمة ، أو تزييف شبهة ، أو نقد رأى .

وقد تحاشيت كل ما لا يدل عليه نقل صحيح ، إذ في التردد ما يغني عن الخيض والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه ، وأن يجنبي الشطط في القول ، والعتار في الرأي ، إنه نعم المولى ، ونعم المعين .

« د . محمد أبوشهبة »

٥ من جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ

١٢ / ١٠ / ١٩٦٤ م

الفصل الأول

حاجة البشر إلى الرُّسل

خلق الله النوع الإنساني ، وكرمه وفضله على كثير من خلقه ، وأعدّه لعمارة الكون ، والانتفاع بما فيه ، ووهبه لطيفة ربانية وهى العقل وبه شرف الإنسان ، وبه صلح للاستخلاف فى الأرض ، والاهتداء إلى طرق الانتفاع بها ، واستغلال ما فيها .

وكل فرد من أفراد هذا النوع الإنسانى فى حاجة إلى الآخر ، فالصانع محتاج إلى الزارع ، والزارع محتاج إلى الصانع ، وكل منهما فى حاجة إلى التاجر ، وصاحب المال محتاج إلى العامل ، والعامل محتاج إلى صاحب المال ، والجاهل فى حاجة إلى العالم ، والضال فى حاجة إلى الهادى والمرشد .

بل الجماعات والشعوب ، لا تستغنى جماعة عن جماعة ، ولا شعب عن شعب فى علمه وصناعته ، ولا فى موارده الاقتصادية .

وهكذا شاء الحق تبارك وتعالى أن يكون النوع البشرى كأسرة واحدة ، كى تتحقق المصلحة العامة ، ويحصل الاتفاق بين الناس على خير ما يكون ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ^(١) وصدق الشاعر العربى :

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَذْوٍ وَحَاضِرَةٍ
بَعْضٌ لِبَعْضٍ - وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا - خَدَمُ

وقديماً قال أحد فلاسفة اليونان : « الإنسان مدنى بالطبع » .

ويكفيك دليلاً على أن الإنسان لا يعيش إلا فى جماعة ما وهبه الله سبحانه من آلة

(١) الحجرات الآية ١٣ .

النطق « اللسان » فإنه خلق لتصوير المعاني في الألفاظ وتأليف العبارات الدالة على ما في النفس ، وذلك لاشتداد حاجة هذا النوع إلى التفاهم بعضه مع بعض ، وأن الإنسان لا يمكن أن يعيش وينتفع بخيرات الأرض وهو بمعزل عن الناس جميعاً .

وحاجة الأفراد بعضهم إلى بعض تزيد وتكثر كلما كثرت مطالب العيش ، وتشابكت المصالح ، وزاد التمدن ، واستبحر العمران ، وفي تلك الحالات تمتد الحاجات من الأسرة إلى القبيلة ، ثم إلى الأمة ثم إلى أفراد النوع الإنساني بأسره .

الإنسان ليس عقلاً مجرداً :

لو أن الإنسان خلق عقلاً مجرداً عن الأهواء والشهوات لاستقامت الأمور ، ولصلحت الأحوال ، ولأمكن للبشر أن يعيشوا أسرة متحابّة متألّفة متعاونة ، ولكن هذا النوع ركب فيه إلى جانب القوة العاقلة القوة الشهوانية ، والقوة الغضبية .

والقوة الشهوانية قد تخرج عن حد الاعتدال فتحمل صاحبها على الانهماك في الشهوات والحرص على اكتساب الأموال من أي جهة كانت ، وبأية وسيلة تيسرت ، والإفراط في طلب المحبوب والمرغوب فيه من غير طرده المشروعة .

وكذلك القوة الغضبية حينما تتجاوز حد الاعتدال تحمل صاحبها على سفك الدماء ، والغدر والظلم ، والتفنن في أنواع الشر والإيذاء ، ولهاتين القوتين - الشهوانية والغضبية - خطرهما لشدة التجاوب بينهما وبين النفس الأمارّة بالسوء ، وتغلبهما على القوة العاقلة في كثير من الأحيان ، ومن ثم يكون اختلاط الأفراد بعضهم ببعض مدعاة إلى الجور والظلم ، وسفك الدماء ، وانتهاك الأعراض وسلب الأموال ، إلى غير ذلك من المحظورات إذاً فالبشر في حاجة ماسة إلى شريعة رادعة زاجرة تبين الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والهدى من الضلال ، وتكفل لهم السعادة في هذه الحياة الدنيا .

شعور الإنسان الفطري بحياة أخرى :

هذا إلى أن الإنسان بما أوتي من فكر ونظر ، وبما منح من إلهام يتوصل - على سبيل الإجمال - إلى أن هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة الدنيا ، يسعد فيها الإنسان أو يشقى ،

وأن السعادة فيها أو الشقاوة مرتبطة بما قدم في دنياه إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : ﴿ اِيْحَسْبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يُّتْرَكَ سُدًى ﴾ ^(١) ﴿ اَفَحَسِبْتُمْ اَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَاَنْكُمْ اِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٢) .

والإنسان بما فطر عليه من حب للمعرفة والاستطلاع في حاجة ملحة إلى من يفصل له أحوال هذه الحياة الأخرى ، والوسيلة التي توصله إلى الفوز بنعيمها ، والنجاة من عذابها سواء أكانت هذه الوسيلة اعتقادات أم عبادات ، أم معاملات ، أم أخلاقيات . فمن ياترى يمكن أن يبنى بحاجة البشر إلى تحقيق السعادتين ، الدنيوية والأخروية ؟ العقل لا يكفي وحده :

لا يمكن لحكيم مهاسما وبلغ من الرقى والمعرفة أن يضع تشريعاً عاماً يحقق جميع ما يحتاج إليه البشر في دنياهم ، ولا أن يبين بالتفصيل أحوال هذه الحياة الأخرى ، والطريق إلى الفوز فيها ؛ لأنها حياة مغيبة عنه ، لا يحيط بها إلا علام الغيوب ، وهو الله جل جلاله .

والنابغون من البشر مهاسما كانوا فعلمهم قاصر ، فهم إن أحاطوا علماً ببيئتهم فلن يعلموا جميع البيئات ، وإن أدركوا ما يكون في زمنهم مما يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً فلن يدركوا ما سيكون بعد زمنهم .

ثم هم إلى ذلك - عرضة لتغلب الأهواء والشهوات ، والاستجابة للغرائز النفسية ، والوساوس الشيطانية ، والخضوع لسلطان البيئة إلى غير ذلك مما يجعل أحكامهم وقوانينهم عرضة للطعن والتجريح .

لا يمكن أن يبنى بهذا الغرض إلا التشريع السماوى :

وإذا كان العقل البشرى مهاسماً وبلغ من العلم بمعزل عن هذه المتزلة ، وهى تحقيق السعادتين الدنيوية والأخروية ، فيتحم بالضرورة أن يكون الواضع لهذا التشريع هو الله

(١) القيامة الآية ٣٦ .

(٢) المؤمنون الآية ١١٥ .

سبحانه الذى أحاط بكل شىء خبراً ، وعلم ما كان وما يكون ووسعت رحمته كل شىء ، وتتره عن العبث والسفه ، والهوى والشهوة ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) وقوله : ﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَمَنْ فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢) .

الرسول مبلغون عن ربهم :

وقد شاء الله عز شأنه وجلت حكمته أن يكون المبلغ لهذا التشريع الإلهى السماوى فئة من البشر ، وهم المصطفون الأخيار ، وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فالرسل هم هداة البشرية وأسائها ، وهم جالها وكماها ومنزلتهم من البشرية بمنزلة الروح من الجسد ، وهل يحى جسده بدون روح ؟

* * *

مَنْ هُم الرُّسُلُ ؟

ورسل الله فئة ممتازة من البشر قد صفت نفوسهم ، وسمت فطرتهم ، وزكت أصولهم ، تعهدهم الله - سبحانه وتعالى - من الصغر بالعناية والتأديب ، ونشأهم على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأفعال ، وجعل لهم استعداداً خاصاً استحقوا به أن يكونوا أهلاً لتلقى الوحي من ربهم بالذات أو بوساطة الملك أو الإلهام ، وأن يبلغوه إلى من شاء الله أن يبلغوه إليهم من البشر ؛ كي تتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة .

وليست النبوة أمراً يكتسب بالرياضات والمجاهدات ، وإنما هى فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده الذين أخلصهم لنفسه ، واصطفاهم لتبليغ شرائعه ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٣) . وهؤلاء الرسل يجب اتصافهم بما يحقق

(١) الأنعام الآية ١١٥ .

(٢) المؤمنون الآية ٧١ .

(٣) الأنعام الآية ١٢٤ .

المقصود من إرسالهم ، ويدعو الناس إلى اتباعهم فيجب لهم :

(١) الصدق .

(٢) وتبليغ ما أمروا به إلى الخلق .

(٣) والفتانة .

(٤) والأمانة أو العصمة ؛ يعنى عصمة ظواهرهم وبواطنهم عن كل منهى .

(٥) وسلامة أبدانهم عن كل ما ينفر منهم النفوس .

ويستحيل عليهم الاتصاف بضد هذه الصفات .

وبالكمال فى هذه الصفات امتازوا عن بقية أفراد النوع الإنسانى ، كما امتازوا بأن أرواحهم قد أمدّها الله بكمال العناية ، فصفت ورقّت وقويت حتى صارت أهلاً لأن تسمع كلام الله وأن تشاهد الملك بصورته الأصلية وتأخذ عنه الوحي .

وما عدا تلك الصفات فهم مساوون لباقي أفراد نوعهم فيأكلون ، ويشربون ، وينامون ، ويألمون ، ويمرضون أمراضاً غير منفرة ، ويصابون بأنواع البلاء والأذى من الأعداء ، وقد يقتلون .

ولما اعترض المشركون على النبي ﷺ بقولهم كما حكى الله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ ، أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (١) .

رد عليهم مقالتهم بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (٢) .

(١) الفرقان الآيات ٧ و ٨ .

(٢) الفرقان الآية ٢٠ .

وقد بين الله لهم أن أكل الطعام والمشى في الأسواق ديدن الرسل جميعاً وأنه لا ينافى الرسالة ، وقد حكى القرآن الكريم مقالة أقوام الرسل لهم بأنهم بشر مثلهم ، ورد الرسل عليهم بتسليم بشريتهم إلا أن الله من عليهم بالرسالة فقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرَدُّوا أُنُودَهُمْ فِي أَقْوَاحِهِمْ ، وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ، قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

وهؤلاء الرسل مؤيدون من الله سبحانه وتعالى بآيات بينات تخالف ما يكون فى مجرى العادة ، ولا يستطيعها البشر مهما أوتوا من قوة ، وهى ما تعرف بالمعجزات .

مَا هِيَ الْمَعْجَزَةُ ؟

المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى صراحة أو ضمناً ، يجريه الله على يد من يدعى النبوة ، فإذا قام إنسان وادعى النبوة وقال : الدليل على صدق أن يجرى - سبحانه - على يدى ما يخالف المألوف من عاداته ، ثم يتحدى الناس زرافات ووحدانا أن يأتوا بمثل ما أتى به وفيهم الكثيرون ممن هم على شاكلته ، ثم لم يكن منهم إلا العجز ، وعدم الاستطاعة فلا شك أن هذا دليل قوى وبرهان ساطع على صدقه ، وأن ما جاء به من عند الله سبحانه . والمعجزة فى دلالتها على صدق النبى قائمة مقام قول الله سبحانه فيما لو أسمعنا كلامه : « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » .

ففى ظهرت المعجزة على يد إنسان وقارن ظهورها دعوى النبوة ، علم بالضرورة أن الله ما

(١) إبراهيم عليه السلام الآيات ٩ و ١٠ و ١١ .

أظهرها إلا تصديقاً لمن ظهرت على يده ؛ لأن من المحال أن يؤيده الله وهو كاذب ، إذ تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب ، والكذب محال على الله .

ومع وضوح دلالتها على صدق النبي الذي ظهرت على يديه فقد قارن حصولها الإنكار من بعض الناس عناداً ومكابرة ، ولو أن كل حق يظهر يأخذ به الناس جميعاً لما كان هناك خلاف في الأرض ، ولكان الناس أمة واحدة ، ولكن طبيعة الناس على خلاف هذا وصدق الله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١) .

المعجزة ليست من المستحيلات العقلية :

والمعجزة ليست من قبيل المستحيل العقلي ، فإن مخالفة السنن الكونية المعروفة مما لم يقم دليل على استحالة فهي - وإن كانت مخالفة للعادة - داخلية في نطاق الممكنات العقلية . وإذا كان الله سبحانه ربط الأسباب بالمسببات ، وأوجد الكائنات بنا موس قد يصل علمنا إلى معرفته ، فليس من المحال عليه سبحانه أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات يعرفها هو سبحانه ، غير أننا لا نعرفها ولكننا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل منه ورحمة .

وإذا اعتقدنا أن الله قادر مختار لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سهل علينا الإيمان بأنه لا يمتنع عليه أن يحدث الحادث على أي هيئة ، وتابعاً لأي سبب إذا سبق في علمه أنه يحدثه كذلك ، واقتضت الحكمة إيجاده على هذا النحو .
المعجزات ليست من صنع الأنبياء :

والمعجزة نفحة من نفحات الحق يجريها الله سبحانه على يد أحد أنبيائه ، وليست من صنعهم ، وإنما هي من صنع الله تعالى وليس أدل على ذلك من أن موسى عليه السلام لما أراد

(١) البقرة الآية ٢٥٣ .

الله أن يعلمه معجزته الكبرى ، وهى العصا ليأنس بها فانقلبت حية وَلَّى خائفا ، ولو كانت بصنعه وعلمه لما خاف ؛ قال تعالى حاكياً ذلك : ﴿ وَالْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾ ^(١) أما السحرة فلما ألقوا حبالهم وعصيمهم وصارت حيات تسعى لم يحفلوا منها ؛ لأنها بصنعههم ، وهم أعلم الناس بحقيقة أمرها .

الفرق بين المعجزة والمخترعات :

أن المعجزة ليست معروفة السبب من الخلق بخلاف المخترعات العجيبة ؛ فإنها لا تدخل فى نطاق المعجزات ولا تقاربها ؛ إذ هى أمور مبنية على تجارب ونظريات داخلية تحت طاقة الإنسان وقدرته ، ومن عمله وصنعه ، وهى جارية على السنن الكونية المعروفة وليست خارجة عنها ، وما سمعنا مخترعا ادعى النبوة باختراعه لأنه يعلم أنه لو فعل وتحدى الناس فسرعان من يقوم من البشر ، فيأتى بمثل ما أتى به إن لم يكن أغرب منه ، ويرد عليه دعواه .

الفرق بين المعجزة والسحر :

أن المعجزة غير معروفة السبب العادى لنا بخلاف السحر فهو وإن خفى فى الظاهر على كثير من الناس مما يعلمه بعضهم ، وله قواعد وأسباب يتوصل بها إليه ، وكثير مما نظن أنه سحر لا يعدو أن يكون خيالاً وخفة يد وشعوذة فكن على بينة من ذلك ، ولا يشككن عليك الأمر ، فليتبس الباطل بالحق المبين فشتان ما بين صنع الله رب العالمين ، وعمل الدجالين والمشعوذين والمبطلين .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

والأمر الخارق للعادة إن ظهر على يد رجل يدعى النبوة فهو المعجزة ، وإن ظهر على يد رجل صالح معروف به من غير أن يقترن بدعوى النبوة فهى الكرامة .

(١) النمل الآية ١٠ .

وأما ما يظهر من الغرائب والتخيلات على يد الرجل الطالح الذى لم يعرف بصلاح ولا استقامة فهو دجل وشعوذة وتمويه .

مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَلَأَمَتَهَا لِأَزْمَانِهَا

فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال : « مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَأُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(١) ومراد النبى بما أوتيته معجزته الكبرى وهى القرآن .

وقد شاء الله سبحانه أن تكون معجزة كل نبى ملائمة لما اشتهر فى زمنه حتى إذا ما عجز الناس جميعهم عن الإتيان بمثلها كان ذلك أكبر شاهد على صدق من ظهرت على يديه ، ولا سيما أنها تظهر على يد من لم يعرف بالتميز فيما اشتهر فى زمنه ألا ترى أن سيدنا موسى عليه السلام لما أرسل فى بيته اشتهرت بالسحر أعطاه الله بعض آياته مناسبة لما اشتهر فى زمنه فكانت آيته الكبرى ^(٢) هى العصا تكون فى يده عصا جامدة لا حس فيها فيلقبها فإذا هى حية تسعى ، ولذلك لما حشر فرعون السحرة بحبالهم وعصيمهم حتى خيل إلى الراى من سحرهم أنها تسعى ، وألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون . كان أول من آمن بالله هم السحرة لأنهم علموا علم اليقين أن عصا موسى ليست من السحر فى شىء ، وأن ذلك لن يكون إلا من فعل القهار الذى لا يغالب ، اقرأ قول الله تعالى فى سورة طه : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ، قَالَ : بَلْ أَتَقُولُوا فَإِذَا جِئَلُهُمْ

(١) صحيح البخارى - كتاب فضائل القرآن - باب كيف نزل الوحي .

(٢) أعطى الله موسى عليه السلام تسع آيات قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ الآية ١٠١ من الإسراء . وقال فى سورة النمل : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ الآية ١٢ وهذه الآيات هى : (١) العصا ، (٢) اليد ، (٣) الجراد ، (٤) القمل ، (٥) الضفادع ، (٦) الدم ، (٧) الطوفان ، (٨) السنون ، (٩) نقص الثمرات ، والعلماء وإن اتفقوا على العدة إلا أن بعضهم يضع البعض مكان البعض الآخر كفلق البحر فإن بعضهم عده بدل نقص الثمرات على اعتبار أن السنين - أى الجدب - ونقص الثمرات شىء واحد أنظر تفسير ابن كثير فى هذه الآية من سورة الإسراء .

وَعَصِيهِمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا : لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَالَّذِي مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى . فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجُودًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿١﴾ .

فلم يجد فرعون - كما هو شأن المغلوب المكابر - بدا من أن يرميهم بأنه كبيرهم الذي علمهم السحر وتوعدهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وتصليهم في جذوع النخل .

فلم ينل منهم التهديد ولا الوعيد لأنهم آمنوا عن يقين فقالوا : ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَنَابِتِ ، وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٢) .

وسيدنا عيسى عليه السلام لما بعث في وقت كثر فيه الاشتغال بالطب وإلى قوم برعوا فيه كانت آياته مناسبة لما اشتهر في عصره فكان يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله ويبرئ الأكمه (٣) والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) مع أن عيسى عليه السلام لم يكن ممن عرفوا بالنبوغ في الطب ولا ممن يمارسون هذه الصناعة فظهور مثل هذه الخوارق على يديه دليل صدق على أنها من صنع الله وأنه صادق فيما ادعاه .

وخاتم النبيين وسيد البشر رسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه لما بعث في وقت اكتمل فيه العقل البشري ، وبلغت فيه البشرية سن الرشد ، واختير من قوم عرفوا بتملك

(١) سورة طه ٦٥ - ٧٠ .

(٢) طه ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) الأكمه الذي ولد أعمى .

(٤) آل عمران ٤٩ .

زمام الفصاحة والبلاغة ، والتصرف في فنون القول وضروبه حتى كان غاية الشريف منهم أن يكون شاعراً مفلحاً ، أو خطيباً مصقلاً كانت آيته الكبرى قرآناً يتلى بلغ أقصى درجات الفصاحة والبلاغة مع الإصابة في القول ، والحكمة في التشريع ، والصدق في المعاني ، والنبل في المقاصد ، والسمو في الأخلاق والآداب .

المعجزات النبوية المحمدية

المعجزة الكبرى : لقد كانت معجزات الأنبياء السابقين حسية تنقضي بانقضاء أزمانها فهي لمن شاهدها أما معجزة نبينا الكبرى فكانت معنوية .

ذلك أن رسالات الأنبياء السابقين كانت لبعض الناس ، ولزمان مؤقت معين فهي محدودة بحدود الزمان والمكان ، بخلاف رسالة نبينا فهي للناس كافة ومستمرة إلى يوم القيامة قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ^(٢) ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(٣) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما « وَكَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » وقد جاءت في وقت بلغت فيه البشرية الكمال العقلي كما ذكرنا فاقضت الحكمة الإلهية أن تكون آيته الكبرى معنوية باقية على وجه الدهر ما بقي إنسان ذو فكر على وجه الأرض .

المعجزات الحسية :

وقد أراد الله سبحانه أن يجمع الفضل من أطرافه لخاتم رسله ، وحامل لواء الشريعة الباقية الخالدة فأعطاه معجزات أخرى حسية فضلاً عن معجزته الكبرى المعنوية فكان له من المعجزات الحسية مثل ما لغيره بل وأزيد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

(١) الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سبأ ٢٨ .

(٣) الأعراف ١٥٨ .

وحكمة أخرى وراء ذلك هي أن الناس ليسوا سواء في الإدراك والتفكير وسمو الفطرة
 فمنهم من يقف عند المحسوس ولا يسمو نظره إلى المعقول ومنهم من لا يقتنع بالمحسوس ،
 وإنما يقتنع بالمعنوى المعقول فاقضت حكمة الله عز شأنه أن تكون معجزات خاتم أنبيائه
 بعضها حسي وبعضها معنوي .

وقد ذكر أئمة التفسير في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ ﴾
 من كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ ﴿١﴾ أن المراد بمن رفعه الله درجات سيدنا محمد قال الإمام الزمخشري في تفسيره
 « الكشاف » عند هذه الآية : « أى ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في
 الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمدا ﷺ ، لأنه هو المفضل عليهم
 حيث أوتي ما لم يؤت أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا
 القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتي الأنبياء ؛ لأنه المعجزة الباقية على وجه
 الدهر دون سائر المعجزات ، وفي هذا الإيهام من تفخيم فضله ، وإعلاء قدره ما لا يخفى لما
 فيه من الشهادة على أنه العَلَمُ الذي لا يشبهه ، والمتميز الذي لا يلتبس ، ويقال للرجل .
 من فعل هذا فيقول : أحدكم أو بعضكم يريد الذي تعرف واشتهر بنحوه من الأفعال
 فيكون أفخم من التصريح ، وأنه بصاحبه ، وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فقال : زهير
 والنابعة ثم قال : ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ، ولو قال . ولو شئت لذكرت
 نفسى لم يفخم أمره » (٢) وذكر غيره من المفسرين نحواً من ذلك .

وقد نقل البيهقي عن الإمام الشافعي رضى الله عنه - أنه كان يقول : « ما أعطى الله
 نبياً شيئاً إلا وأعطى الله محمداً ﷺ ما هو أكثر منه ، فقبل له أعطى عيسى ابن مريم
 إحياء الموتى فقال الشافعي حين الجذع أبلغ ؛ لأن حياة الخشب أبلغ من إحياء الميت ، ولو
 قبل كان لموسى فلق البحر عارضناه بفلق القمر ، وذلك أعجب ، لأنه آية سماوية وإن

(١) البقرة ٢٥٣ .

(٢) أنظر تفسير الكشاف عند هذه الآية .

سئلنا عن انفجار الماء من الحجر عارضناه بانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ لأن خروج الماء من الحجر معتاد ، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب ولو سئلنا عن تسخير الرياح لسليمان عارضناه بالمعراج ^(١) .

وهكذا لو نهجنا منهج إمام الأئمة الشافعي لما عجزنا عن أن نجد لكل معجزة لنبى سابق مثلاً لها أو أبلغ منها لرسولنا ﷺ .

وقد ذكر الإمام النووى فى مقدمة شرح صحيح مسلم أن معجزات النبى ﷺ تزيد على ألف ومائتين ، وقال البيهقى فى المدخل : بلغت ألفاً ، وقال الزاهدى من الحنفية : ظهر على يديه ألف معجزة وقيل أكثر من ذلك .

ولعل السبب فى هذه الكثرة الكاثرة - والله أعلم - أنهم عدّوا كل ما كان من دلائل النبوة معجزات فيدخل فيها الإرهاصات التى تقدمت البعثة المحمدية ، وما كان عند الميلاد بل وما سبق الميلاد من الأمارات الدالة على نبوته ﷺ ، وإلا فلو تتبعنا الروايات الصحيحة الموثوق بها لما بلغت المعجزات الحسية عشر هذا المقدار ، والقرآن الكريم نفسه اشتمل على معجزات كثيرة كالإخبار بالمغيبات السابقة واللاحقة وتحدى اليهود أن يتمنوا الموت فلعلهم عدوا أيضاً كل هذه معجزات مستقلة ، وبهذا يخلص لهم من المعجزات شىء كثير .

وقد اعتنى المحدثون فى كتبهم بجمع المعجزات النبوية ، فعقد الإمام البخارى لذلك باباً كبيراً فى صحيحه ^(٢) ، وألف بعض الأئمة فى ذلك كتاباً خاصة كما صنع الحاكم فى « الإكليل » ، وأبوسعيد النيسابورى فى « شرف المصطفى » وأبونعيم والبيهقى فى « دلائل النبوة » وذكر القاضى عياض فى « الشفا » من المعجزات النبوية شيئاً كثيراً .

المعجزات المحمدية منها ما تواتر ومنها ما لم يتواتر :

معجزة النبى الكبرى وهى القرآن ثابتة بالتواتر المفيد للقطع واليقين بلا ريب ، أما

(١) مناقب الشافعى ص ٣٨ .

(٢) عنوانه « باب دلائل النبوة » .

المعجزات الأخرى فيها ما ثبت بالتواتر^(١) وذلك كالمعجزات التي وردت في القرآن الكريم أو وردت في الأحاديث المتواترة ، ومنها ما لم يثبت بالتواتر بل ثبت بالروايات الآحادية الصحيحة وذلك كالمعجزات الثابتة بالأحاديث التي لم تتواتر ومن هذه ما استفاض واشتهر برواية الأئمة العدول الثقات حتى كاد يلحق بالمتواتر .

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري بشرح صحيح البخاري »^(٢) « وأما ما عدا القرآن من نبع الماء بين أصابعه وتكثير الطعام ، وانشقاق القمر ونطق الجراد فنه ما وقع التحدى به ، ومنه ما وقع دالاً على صدقه من غير سبق تحد ، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير ، كما يقطع بوجود جود « حاتم » - يعنى الطائي - وشجاعة علي[ؑ] ، وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد مع أن كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشرواها العدد الكثير ، والجمل الغفير ، وأفاد الكثير منها القطع عند أهل العلم بالآثار ، والعناية بالسير والأخبار ، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة ، لعدم عنايتهم بذلك بل لو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظري لم يكن مستبعداً » .

ومن هذه المعجزات الحسية الإسرائ برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي شرفه الله وبارك فيما حوله ثم العروج به من تلك البقعة المباركة إلى السماوات السبع وما فوقهن حتى انتهى إلى مستوى لم يصل إليه غيره ، وسنفيض القول في هاتين المعجزتين عن قريب .

ومنها انشقاق القمر لما طلبوا من النبي ﷺ آية حتى صار فلقنتين ، وقد نقل هذا عن

(١) المتواتر من الأخبار ما رواه جماعة كثيرة عن جماعة يحل العقل تواطؤهم على الكذب وكان مرجع الخبر إلى الحس والمشاهدة وهو قسبان : لفظي ومعنوي فاللفظي ما اتفقت فيه الروايات على لفظ واحد كحديث : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » والمعنوي : ما اختلفت فيه الروايات في اللفظ ولكن المعنى واحد كالروايات الدالة على شجاعة سيدنا علي[ؑ] مثلاً فهي بالفاظ مختلفة وفي مواطن متعددة ولكنها تدل على قدر مشترك وهو الشجاعة ، والقسم الأول نادر في الأحاديث والثاني كثير .

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٤٥٣ ط البية .

نفر من الصحابة بالروايات الصحيحة المستفيضة

ويرى بعض العلماء أن انشقاق القمر ثابت بالقرآن المتواتر بقوله تعالى : ﴿ أَقْرَبَتْ
السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

ولولا إمكان التأويل في جواز إرادة أن ذلك سيكون بعد ، قُرب قيام الساعة كما ذهب
إليه بعض أهل العلم قديماً وحديثاً لكانت هذه المعجزة قطعية الثبوت .

ومن المعجزات الحسية نبع الماء من بين أصابعه أو البركة في الماء القليل بالتفل فيه أو
بلمسه أو بوضع شيء فيه كسهم من كنانته ﷺ .

وقد روى كل ذلك من طرق كثيرة حتى قال الإمامان عياض والقرطبي أن مجموعها
يفيد العلم القطعي المستفاد من المتواتر المعنوي .

ومنها البركة في الطعام القليل حتى يكفي العدد الكثير مما هو غير معهود في العادة ، وقد
روى هذا أيضاً بالطرق المتكاثرة التي تفيد التواتر المعنوي .

ومنها حين الجذع ، روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما « أَنَّ
النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى نَخْلَةٍ فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنبْرًا ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتُمْ ، فَجَعَلُوا لَهُ مِنبْرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
دَفَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيْحَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَضَمَّهُ إِلَيْهِ يَتْنُ أَنْبِ
الصَّبِيِّ الَّذِي يُسْكَنُ قَالَ : كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا » .

ولعمر الحق إذا كان الجذع حن شوقاً وتأثراً بما يسمع من الذكر والقرآن فما بال هؤلاء
الذين تتلى عليهم آيات الله بكرة وعشيا ، وتلقى عليهم مواعظ النبي وكلمه الجوامع وعباراته
المؤثرة - لا تلتين قلوبهم ، ولا تقشعر جلودهم ، ولا تفيض بالدمع عيونهم « ألا إنها
لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

لقد كان الحسن البصري واعظ عصره ، وفصيح وقته إذا حدث بحديث الجذع

يقول : يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه لمكانه ، فأنتم أحق أن تشاققوا إليه .

ورحم الله الإمام البوصيرى حيث يقول :

وَسَلَوُهُ وَحَنَّ جِذْعُ إِلَيْهِ وَقَلَوُهُ وَوَدَّهُ الْغُرَبَاءُ
ومن المعجزات الحسية رده ﷺ عين قتادة بن النعمان لما أصيب يوم أحد وسقطت على وجنته فعادت أحسن عينيه وأحدَّهما .

ولما دخل عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان على الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رضى الله تعالى عنه - قال له : من أنت ؟ فقال مرتجلاً :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلَتْ عَلَى الْخَدَّ عَيْنُهُ

فَرَدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ أَمْرِهَا فَيَا حُسْنَهَا عَيْنًا وَيَا حُسْنَ مَا خَدَّ
فقال عمر بن عبد العزيز متمثلاً بقول الشاعر :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنٍ شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا
وهذا قل من كثر من معجزاته ﷺ الباهرات وآياته البينات .

* * *

الْمُنْكَرُونَ لِلْمُعْجَزَاتِ الْحَسِيَّةِ

وقد دعانى إلى تفصيل القول فى المعجزات النبوية الحسية ما يزعمه بعض الباحثين والكااتين من أنه مادام القرآن آية دالة على صدق النبى ﷺ فنحن فى غنية عن النظر فى غيره من الآيات ولا سيما والكثير منها لم يثبت إلا بالطرق الأحادية التى لاتفيد القطع . وكثيراً ما يجرهم هذا الكلام المتلبس بالتستر إلى إنكار المعجزات الحسية جملة ،

وأحب أن أقول لهؤلاء إن موقفهم من المعجزات الحسية وإنكارها حدا ببعض المبشرين والمستشرقين إلى الطعن في النبي والوحي المحمدي بحجة أن النبي ليس له من المعجزات الحسية المتكاثرة ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وهكذا نراهم وإن لم يقصدوا قد أعطوا لأعداء النبي الطاعنين فيه خنجراً يساعدهم على الطعن فيه والنيل منه . وردى على هؤلاء المنكرين للمعجزات الحسية أو التقليل من شأنها أن الشيء إذا تواردت عليه الأدلة والبراهين ازداد قوة وثباتاً حتى يصل العلم به إلى عين اليقين وليس من شك في أن انضمام المعجزات الحسية إلى المعجزة الكبرى المعنوية وهي القرآن مما يعود بالقوة واليقين على الرسالة المحمدية ويقطع على الأقل حالة أعداء الإسلام ونبيه ولا أدرى أى حجة لهم في استبعاد المعجزات الحسية وإنكارها وها هي كتب الله المتزلة جميعها تثبت لأنبياء الله ورسله آيات تفوق الحصر !!!

ثم ما هذه البدعة السيئة ، بدعة أن الخبر مادام لم يتواتر لا يقبل ولا يؤخذ به ولو أن كل مسألة من مسائل العلم والمعرفة لم نكتف فيها إلا بالتواتر لما سلم لنا من المعارف إلا القليل ، بل لو أننا طبقنا هذه القاعدة على علم التاريخ والأخبار والآداب لما سلم لنا منها إلا شيء أقل من القليل .

على أنه لا ينبغي أن يغيب عن ذهن القارئ الفطن أن الرواية في الإسلام بشروطها من اتصال الأسانيد ، ونقل العدول الضابطين ، عن مثلهم إلى آخر السند ، والحفظ واليقظة وعدم الغفلة ، ضمانات كافية لترجح الصدق والصواب ترجيحاً قوياً على الكذب والخطأ ، وترجح الحفظ والضبط على جانب الغفلة والسهو وأن أئمة الحديث بذلوا جهداً جباراً في غريبة الأحاديث وتفتيتها مما عسى أن يكون علق بها ونقد الرواة نقداً لم تبلغه أمة من الأمم لا في القديم ولا في الحديث وها أنت قد سمعت آثفاً ما ذكره أئمة الحديث وجهابذته من أن الكثير منها يكاد يبلغ مبلغ المتواتر وأن بعضها تواترت الرواية به بالفعل . ولو أن هؤلاء المنكرين أو المشككين في المعجزات الحسية تناولوا الروايات الحديثية بمثل ما تناولها به علماء أصول الرواية ، ونظروا فيها بمنظارهم الدقيق الحصيف ، وتدققوها

بذوقهم السليم لعرفوا الحق ثم اعترفوا به .

وبعض هؤلاء المنكرين لا حجة لهم إلا استبعادها وزعمهم أن العقل لا يسلم بها .
وإني أقول لهؤلاء : إن تحكيم العقل في الغيبات وخوارق العادات ليس من الحكمة في
شيء ، وللعقل منطقته التي لا يتجاوزها ورحم الله إمامنا الشافعي حيث يقول : « كما أن
للبصر مجالاً لا يعبده فكذلك للعقل مجال لا يتجاوزه » ولو أن كل شيء لا يقع تحت الحس
أولا يستسيغه العقل أو يخالف المألوف والعادة ننكره لوقعنا في متاهات من الضلال والغي
والجحود والإنكار وقصارى القول أسوق للقارىء البصير هذه الحكمة الخالدة وهي أن كل
شيء أخبر الشارع بوقوعه فهو في دائرة الإمكان ، ومن يدع الاستحالة فعليه البيان .

الفصل الثاني

قُبَيْلُ الإِسْرَاءِ والمعراج

ها هي قريش وقفت عقبة كؤودا في سبيل الدعوة الإسلامية ، وَعَادَتِ الرسول وأصحابه ، وَلَجَّتْ في العداوة والإيذاء ، وتجاوزت الحد في الطغيان فقاطعت كل من يتنصر للنبي ولو حمية ممن كان على دينهم كما حدث في مسألة الصحيفة التي آلوا فيها على أنفسهم مقاطعة بني هاشم والمطلب حتى بلغ الجهد منهم مبلغه .

وها هي الأحداث المحزنة تتوالى ، فأبوطالب شيخ قريش ومانع رسول الله ﷺ من أذى قريش وناصره تنزل به المنية ويزيد من هول الفجيعة موت السيدة المهية في قومها خديجة بنت خويلد وزوجه التي واسته بنفسها ومالها والتي كانت له وزيرة صدق تعينه عند الشدائد ، وتسرى عن نفسه عند البلاء ، بما عهد عنها من عقل حصيف ، وقلب رحيم ، وصدر حنون ، وعبارات تغسل أثر الألم ، وتزداد إساءات قريش للنبي وصحبه ، وتقف من الدعوة المحمدية موقف العناد ، والإباء ، والتمنع ، فيبدو للنبي أن ييمم وجهه شطر الطائف عسى أن يجد فيها متنفساً للدعوة إلى سبيل ربه ، فذهب ومعه جُبه ومولاه زيد بن حارثة إلى الطائف ، وهنالك اتصل برؤساء ثقيف عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو ابن عمير الثقفي ، فعرض عليهم الإسلام ونصرته حتى يبلغ رسالة ربه ، فردوا عليه رداً قبيحاً ، وكانوا أسوأ حالا من أهل مكة ، فرجا منهم أن يكتموا أمره معهم على قريش حتى لا يشتد إيذاؤهم له ، فما وجد منهم مروءة ولا عهداً ، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى سال الدم الذكي من عقبه وزيد - رضى الله عنه - يدرأ عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

فلجأ إلى ظل شجرة بجوار بستان لشية وعتبة ابني ربيعة فكانها رقا له لما نزل به ، فأرسلوا له غلاماً لها يسمى « غداسا » بقطف من غناب فلما ابتداء رسول الله ﷺ يأكل

قال : بسم الله الرحمن الرحيم فقال عداس . هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال النبي : من أى البلاد أنت وما دينك ؟ قال : أنا نصرانى من « نينوى » فقال النبي : من بلد العبد الصالح يونس بن متى فقال عداس : وما علمك به ؟ فقرأ عليه النبي ﷺ ما يتعلق بقصة يونس فى القرآن الكريم فأسلم عداس لما سمع حديث القرآن عنه .

توجه إلى الله بالدعاء :

ولم يجد الرسول بدا - وقد فقد الرحمة والمواساة والنصرة من الناس - من أن يتوجه بقلبه وبصره إلى السماء داعياً الرحمن بهذا الدعاء الذى لا يصدر إلا من قلب مفعم بالإيمان ، ونفس راضية مطمئنة يهون عليها كل شىء من لأواء الحياة وشدائدها ، وبلائها فى سبيل الحق والمثل الإنسانية الرفيعة فقال : « اَللّٰهُمَّ اِلَيْكَ اَشْكُوْ ضَعْفَ قُوَّتِيْ وَهَوَانِيْ عَلَي النَّاسِ ، يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، اَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِيْنَ وَاَنْتَ رَبِّيْ ، اِلَيَّ مَنْ تَكَلَّمْتَنِيْ ؟ اِلَيَّ بَعِيدٌ يَّتَجَهَّمُنِيْ ؟ اَمْ اِلَيَّ عَدُوٌّ مَلَكَتْهُ اَمْرِيْ ؟ اِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا اُبَالِيْ ، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ اَوْسَعُ لِيْ ، اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَعُوْذُ بِنُوْرٍ وَجْهَكَ الَّذِي اَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ اَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ اَنْ يَنْزِلَ بِيْ غَضَبُكَ ، اَوْ يَحِلَّ بِيْ سَخَطُكَ لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللّٰهِ » .

ثم قفل راجعاً إلى مكة . وهو مهموم النفس ، مكولم الفؤاد .

وفى الطريق جاءه جبريل فقال : إن الله أمرنى أن أطيعك فى قومك لما صنعوه معك فقال النبي : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » فقال جبريل عليه السلام : صدق من سماك الرؤوف الرحيم .

فلما وصل النبي وصاحبه إلى مكة أبى عليه كفارها أن يدخلها لما بلغهم ذهابه إلى ثقيف واستنصاره بهم عليهم ، فأرسل إلى المطعم بن عدى مستجيراً وكان الرجل كريماً ذا مروءة فما لبث أن خرج إلى الرسول هو وبنوه لا بسين السلاح وأحاطوا به من كل جانب حتى دخل المسجد الحرام وطاف حول الكعبة ولم يستطع أحد أن يخفر جواره .

فى الإسراء والمعراج تسرية عن نفس الرسول :

وفى هذه الغمرة من المأسى والأحزان ، وصدود القوم عن الإيمان ، ومحاربة الدعوة بكل الطرق والوسائل ، وبعد هذه الشدائد المتلاحقة كان من رحمة الله بعبده وحببيه محمد أن يسرى عن نفسه الجريحة ، وفؤاده المخزون ، فكان « الإسراء » و« المعراج » حيث شاهد من آيات ربه ما شاهد ، وعاین من أمارات العناية الإلهية به وبدعوته ما زاده يقينا إلى يقين بنجاح دعوته ، وتبليغ رسالة ربه ، والنصر على أعدائه ، وأطلعه الله من ملكوته العظيم على ما أطلعه عليه مما ملأ النفس رضى ، والقلب نورا ، والصدر ثلجاً وطمأنينة .

ما هو الإسراء والمعراج ؟

الاسراء : هو ذهاب الله بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس - مدينة القدس - فى جزء من الليل ثم رجوعه من ليلته .

المعراج : هو صعوده ﷺ من بيت المقدس إلى السماوات السبع ، وما فوق السبع ثم رجوعه إلى بيت المقدس فى جزء من الليل .

بُتوت الإسراء والمعراج

الإسراء ثابت بالقرآن والأحاديث الصحيحة المتكاثرة .

أما القرآن فى قوله سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(*) الإسراء فى اللغة مصدر أسرى وهو سير عامة الليل ، ويقال : أسراه وأسرى به وعلى الثانية جاء القرآن الكريم .

وجمهور اللغويين على أن سرى وأسرى بمعنى واحد وبعضهم يفرق بينهما فيقول : أسرى : سار من أول الليل وسرى : سار من آخره . والمعراج بكسر الميم قال ابن الأثير : المعراج بالكسر شبه السلم مفعول من العروج أى الصعود كأنه آلة له مأخوذ من عرج يعرج عروجا إذا صعد والمراد به المصدر أى العروج .

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ سورة الإسراء .

وأما الأحاديث فسنشير إليها فيما بعد .

وأما المعراج فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة التي رواها الثقات العدول وتلقاها الأمة بالقبول ولو لم يكن إلا اتفاق صاحبى الصحيحين البخارى ومسلم على تخريجها في صحيحهما لكفى فها بالك وقد خرجها غيرهما من أصحاب كتب الحديث المعتمدة وكتب السير المشهورة .

ويرى بعض العلماء أن المعراج وإن لم يثبت بالقرآن صراحة ولكنه أشير إليه في سورة النجم في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَنَبِّهِ ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ النجم [١٣ - ١٨] .

فقد روى عن ابن مسعود والسيدة عائشة - رضى الله عنهما - أن المرئى هو جبريل (٢)

(١) بدأ الآية بلفظ سبحان لأن من قدر على هذا فهو مستحق للتزكية والتقدیس وفيها معنى التعجب وما أجدد الإسراء بأن يتعجب منه وفي ذكر العبد في هذا المقام تشریف ، وتحذير أن يتخذ الإسراء وسيلة لرفع الرسول من مقام العبودية إلى مقام الألوهية وذكر لفظ « ليلا » مع أن الإسراء لا يكون إلا ليلا للإشارة إلى أنه في جزء من الليل والمسجد الحرام بمكة . وسمى حراما لحرمته والمسجد الأقصى : بيت المقدس وسمى الأقصى لبعدها من المسجد الحرام والمراد بقوله « باركنا حوله » البركات الدينية والدنيوية أما بركاته الدينية فلكونه مقر الأنبياء ومهاجر الكثير منهم وقبلتهم ومهبط الملائكة وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرجال مسجد مكة ومسجد المدينة ، ومسجد بيت المقدس والتي يضاعف فيها ثواب الصلاة وأما الدنيوية فلما يحيط به من الأنهار الجارية والزروع والساتين النضرة ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ المراد بها ما أراه الله لنبيه في هذه الليلة من مخلوقات الله وآلائه وجلاله وعجائب صنعه ، وما أفاض به على قلبه من فيوضات ربانية والتعبير بمن هنا غاية البلاغة لأن الله أرى نبيه بعض آياته لا كلها إذ آيات الله لا تنتهى ، ولا يتسع لها قلب بشر ، وما أبلغ أن ينجم الآية بقوله : ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ فهو عدة للمؤمنين بالإسراء بالجميل ، والثواب الجزيل ، ووعيد للمكذبين والمرجفين .

(٢) وروى عن ابن عباس أن المرئى هو الله سبحانه وتعالى والأول هو الصحيح المعتمد وعلى رأى ابن عباس فالآية دالة أيضاً على المعراج لأنه يرى أن ذلك كان ليلة المعراج .

رآه رسول الله ﷺ على هيئته التي خلق عليها ولم يره على هذه الحالة إلا مرتين : الأولى وهو نازل من غار حراء ، والثانية ليلة المعراج قال العلامة ابن كثير في تفسيره (١) ما خلاصته مع التوضيح : وقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها مرتين : الأولى عقب فترة الوحي ، والنبي نازل من غار حراء فرآه على صورته له ستمائة جناح ، قد سدَّ عِظْمُ خَلْقِهِ الْأَفْقَ فاقترَب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أوحى وإليه أشار الله بقوله : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ (٢) .

والثانية ليلة الإسراء والمعراج عند سدره المنتهى وهى المشار إليها فى هذه السورة - النجم - بقوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ .

* * *

الإسراء والمعراج بالجسد والروح

جمهور العلماء من السلف والخلف على أنها كانا فى ليلة واحدة ، وأنها كانا يجسده وروحه ﷺ ، وهذا هو الذى يدل عليه قوله تعالى فى مفتتح سورة الإسراء السابقة ﴿ بَعْدَهُ ﴾ وليس ذلك إلا الروح والجسد .

وقد تواردت على ذلك الأخبار الصحيحة المتكاثرة والنصوص على ظواهرها ما لم يقم دليل على صرفها عن ظواهرها وأنى هو ؟

وفى الأحاديث الصحيحة أنه شق صدره الشريف ، وركب البراق وعرج به إلى السماء ، ولاقى الأنبياء ، وفرضت عليه الصلوات الخمس وأن الله كلمه ، وأنه صار يرجع بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل ، مما يؤكد أنها كانا يجسده الشريف وروحه ، وينفى ما عدا ذلك .

(١) تفسير ابن كثير والبيغوى ج ٨ ص ٩٦ وما بعدها ط المنار .

(٢) الضمير فى قوله « فأوحى » عائذ على جبريل وهو الظاهر المقبول لأنه المتحدث عنه وقبل عائذ على الحق تبارك وتعالى وهو بعيد مردود لما فيه من تفكيك النظم الكريم وأما الضمير فى « عبده » فهو راجع إلى الله سبحانه فحسب أى فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بوساطة جبريل .

القائلون بأنها كانا بالروح :

وذهب بعض أهل العلم إلى أنها كانا بروحه عليه الصلاة والسلام ونسب القول به إلى السيدة عائشة والسيد معاوية رضى الله عنهما ، وذكروا في هذا أنه روى عن السيدة عائشة أنها قالت : « مَا فَقَدْتُ^(١) جَسَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنْ أُسْرِى بِرُوحِهِ » ، وهو حديث غير ثابت وهنه القاضي عياض في « الشفا » سنداً ومتناً وحكم عليه الحافظ ابن دحية بالوضع .

ومما يضعف هذا الأثر ويرده أن السيدة عائشة رضى الله عنها لم تكن حينئذ قد دخل بها رسول الله ؛ فإن من المتفق عليه أن رسول الله ﷺ لم يين بها إلا بعد الهجرة ، وإن خطبها قبلها بسنة وقيل بستتين .

ومما يرد ما نسب إلى عائشة أيضاً أن الثابت عنها أنها كانت تنكر على من يقول : إن محمداً رأى ربه ليلة المعراج ، وتستدل بآيات من الكتاب على حسب اجتهداها وفهماها ، فلو كانت ترى هذا الرأي الذى نسبوه إليها زوراً لكان أقرب شيء فى ردها على من يقول بالرؤية أن تحتج عليهم بأن المعراج لم يكن يجسده ولكن لم ينقل عنها أنها احتجت بذلك . والظاهر أن ما روى عن معاوية رضى الله عنه غير صحيح أيضاً وهو حين الإسرائ والمعراج لم يكن أسلم بعد .

ولو سلمنا ما نسب إليهما - جلاً - فظواهر القرآن والسنة الصحيحة تردده .

القائلون بأنها كانا مناما :

وأبعد من هذا القول قول من ذهب إلى أنها كانا فى المنام ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾^(٢) . وقالوا : الآية تشير إلى الإسرائ والمعراج ، والرؤيا إنما تطلق على المنامية لا البصرية ،

(١) روى فقدت مبنياً للمعلوم وروى فقدت مبنياً للمجهول .

(٢) سورة الإسرائ الآية ٦٠ .

وليس أدل على رد استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس في تفسيرها : « هي رؤيا عين أُرِيها رسول الله ﷺ ليلة أُسرى به والشجرة الملعونة شجرة الرُّقُوم » رواه البخارى في صحيحه ، والترمذى والنسائى فى سننهما ، ومراد ابن عباس برؤيا العين جميع ما عينه ﷺ ليلي أُسرى به من العجائب السماوية والأرضية .

وابن عباس حَبَّر الأمة وترجمان القرآن ومن أعلم الناس بالعربية وكان إذا سئل عن لفظ من القرآن ذكر له شاهداً من كلام العرب فكلامه حجة فى هذا فالرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية أيضاً .
ومن شواهد ذلك من لغة العرب الذين يحتج بكلامهم قول الراعى يصف صائداً :

وَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَّ فُؤَادُهُ وَبَشَّرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بَلَا بُلْهَ
وأيضاً لو كان فى المنام لم يكن فيها شىء يستعظم ولما بادر كفار قريش إلى تكذيب الرسول ، ولما ارتد بعض ضعفاء الإيمان ممن كانوا أسلموا ؛ إذ كثير من الناس يرون فى منامهم مثل ذلك وأكثر فيرى الرأى أنه ذهب إلى السماء أو إلى أقصى المعمورة ، فاستبعادهم لذلك ومسارعتهن إلى تكذيب الرسول عقب إخبارهم من أظهر الأدلة على أنهم فهموا من إخبار النبي أنها كانا فى اليقظة لا فى المنام .
الفرق بين كونهما بالروح وكونهما مناماً :

ومما ينبغى أن يعلم ان بعض الكاتبين فى الإسرائء والمعراج يخلط بين قول من يقول :
كانا مناما ، وقول من يقول : كانا بالروح ، وبينهما فرق ، فمن قال بالروح أراد أن الروح بما لها من قدرة على التصرف والانتقال هى التى انتقلت وجالت فى هذه المعانى المقدسة فى الأرض وفى السماء . وأما من قال فى المنام فإنما أراد حدوث صور وانكشافات للروح فيما وراء الحس من عالم الغيب من غير انتقال ومفارقة للبدن .

وقد تنبه إلى هذا الفرق الدقيق العلامة ابن القيم فى كتابه زاد المعاد قال : [وقد نقل ابن اسحاق عن عائشة ومعاوية أنها قالا : إنما كان الإسرائء بروحه ولم يفقد جسده ، ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك .

ومما ينبغي أن يعلم الفرق بين أن يقال كان الإسراء مناماً وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم ، وعائشة ومعاوية لم يقولوا : كانا مناماً ، وإنما قالوا : أسرى بروحه ولم يفقد جسده ، وفرق بين الأمرين : فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم في صورة المحسوس فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة ، وأقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ولم تذهب وإنما ملك الرؤيا ضرب المثال .

والذين قالوا عرج برسول الله ﷺ طائفتان : طائفة قالت عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت : عرج بروحه ، ولم يفقد بدنه ^(١) ، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناماً وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها وعرج بها حقيقة ، وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة ، وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها إلى السماوات سماء سماء حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فتقف بين يدي الله عز وجل فيأمر فيها بما شاء ، ثم تنزل إلى الأرض فالذى كان لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم ^(٢) ، لكن لما كان رسول الله ﷺ في مقام خرق العوائد حتى شق بطنه وهو حي لا يتألم بذلك عرج بذات روحه المقدسة من غير إماتة ومن سواه لا يتألم بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة ، والأنبياء إنما استقرت أرواحهم هناك بعد مفارقة الأبدان ، وروح رسول الله ﷺ صعدت إلى هناك في حال الحياة ثم عادت ، وبعد وفاته استقرت في الرفيق الأعلى مع أرواح الأنبياء ، ومع هذا فلها إشراف على البدن ، وإشراق وتعلق به ، بحيث يرد السلام على من سلم عليه ، وبهذا التعلق رأى موسى قائماً يصلى في قبره ، ورآه في السماء السادسة ، ومعلوم أنه لم يعرج بموسى من قبره ثم رد إليه ، وإنما ذلك مقام روحه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح إلى أجسادها فرآه يصلى في قبره ورآه في السماء السادسة .

كما أنه ﷺ في أرفع مكان في الرفيق الأعلى مستقراً هناك وبدنه في ضريحه غير

(١) وهناك طائفة ثالثة تقول : كان في المنام كما ذكرنا ورددنا قولهم .

(٢) كل هذا توجيه لرأى من يرى أنهما كانا بالروح وفق في شرحه لا رأى له كما نعلم ﷻ ليس هذا رأى لابن

مفقود ، وإذا سلم عليه المسلم رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ولم يفارق الملائكة الأعلى .

ومن كثف إدراكه ، وغلظ طباعه عن إدراك هذا فلينظر إلى الشمس في علو محلها وتعلقها ، وتأثيرها في الأرض ، وحياة النبات والحيوان بها .

هذا وشأن الروح فوق هذا فلها شأن وللأبدان شأن ، وهذه النار تكون في محلها وحرارتها تؤثر في الجسم البعيد عنها مع أن الارتباط الذي بين الروح والبدن أقوى وأكمل من ذلك وأتم فشأن الروح أعلى من ذلك وألطف ^(١) .

وهذا الفصل القيم من النفاسة بمكان آثرت ذكره كله لما فيه من الفوائد الجمّة ، والإبانة عن مسألة كثيراً ما يسأل الناس عنها وهي تعلق الأرواح بالأجساد .

* * *

الإِسْرَاءُ وَوَحْدَةُ الْوُجُودِ

ولا يفوتني وقد عرضت للآراء في الإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ وبينت الصحيح منها من الزائف أن أعرج على رأى ساقه الدكتور محمد حسين هيكل - رحمه الله - في كتابه « حياة محمد » عليه الصلاة والسلام وهو تصوير الإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ تصويراً روحياً مبنياً على فكرة « وحدة الوجود » .

وهاك ما ذكره في كتابه بعد ما ذكر خلاف العلماء في الإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ أهو بالجسد أم بالروح ؟ قال : « ففي الإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ في حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو ، معنى أكبر من هذا الذى يصورون ، والذى قد يشوب بعضه من خيال المتكلمين حظ غير قليل . فهذا الروح القوى قد اجتمعت فيه في ساعة الإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها ، لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التى تجعل حكماً نحن في الحياة نسبياً محدوداً بحدود قوانا المحسنة . والمدبرة ، والعاقلة

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ج ٢ ص ٤٨ - ٤٩ ط الحلبي .

تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله في روحه فوعاه منذ أزله إلى أبده ، وصوره في تطور وحدته إلى الكمال عن طريق الخير والفضل ، والجمال والحق في مغالبتها ، وتغلبها على الشر والنقص ، والقبح ، والباطل ، بفضل من الله ومغفرة .

وليس بمستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية فإذا جاء بعد ذلك ممن اتبعوا محمدا من عجز عن متابعته في سمو فكرته ، وقوة إحاطته بوحدة الكون في كماله ، وفي جهاده لبلوغ هذا الكمال فلا عجب في ذلك ولا عيب فيه . « (١)

بطلان فكرة وحدة الوجود :

وفكرة وحدة الوجود فكرة خاطئة وافدة إلى الإسلام فيما وفد إليه من آراء فاسدة وهي من مُخَلَّفَاتِ الفلاسفة القديمة ، وقد انتصر لها وتشيع بعض المتصوفة الذين يتنسبون إلى الإسلام ، وكتبوا فيها فكان عاقبتهم الإلحاد في الله وصفاته .

وقد أبان بطلانها كثير من علماء الأمة الراسخين في العلم ، المثبتين في العقيدة والقول بها يؤدي إلى قول بالطبيعة ، وقدم العالم وإنكار الألوهية ، وهدم الشرائع السماوية التي قامت على أساس التفرقة بين الخالق والمخلوق ، وبين وجود الرب ، ووجود العبد ، وتكليف الخالق للمخلوق بما يحقق لهم السعادة ، ومقتضى هذا المذهب أن الوجود واحد ، فليس هناك خالق ومخلوق ، ولا عابد ومعبود ، ولا قديم وحادث ، وعابدوا الأصنام والكواكب والحيوانات حين عبدوها إنما عبدوا الحق ؛ لأن وجودها هو وجود الحق إلى آخر خرافاتهم التي ضلوا بسببها ، وأضلوا غيرهم ، والتي أضرت بالمسلمين ، وجعلتهم شيعةً وأحزاباً ، ولقد بلغ من بعضهم أنه قال : إن النصارى ضلوا لأنهم اقتصروا على عبادة ثلاثة ولو أنهم عبدوا الوجود كله لكانوا راشدين ، وقال بعض المعتنقين لهذه الفكرة الفاسدة :

(١) حياة محمد ص ١٨٩ ط الثانية .

(١) ص ٥٢١ ط الهند .

وما الداعى إلى ذلك ما دام الكون كله قد اجتمع فى روح النبى كما قال صاحب هذا
الرأى ، فالمسجد الحرام والأقصى فى روحه ، والسموات وما فىهن فى روحه !!
ثم ما الداعى إلى كل هذا التكلف والإغراب من الدكتور هيكىل - رحمه الله - فى
فهم نصوص صريحة جاءت بلسان عربى مبين .

والإسراء والمعراج كما جاء بهما القرآن والأحاديث الصحيحة أقرب منلاً وأشد
استساغة لعقول الناس لها مما ذهب إليه .

ولو جلست زماناً لتفهم رجلاً أُمياً أو متعلماً بالإسراء والمعراج على ما رأى الدكتور ما
أنت بمستطيع إفهامه هذه الألغاز والطلاسم التى حاول بها إحداث رأى جديد لا يدرى
سبق إليه أم لا ؟

وهل تصوير الإسراء والمعراج بهذا التصوير إلا إشكال على عقول الكثرة من الناس ،
ومخاطبة لهم بما لا تبلغه عقولهم ومداركهم ، وقد أمرنا أن نخدث الناس بما يعقلون وأن
ندع ما ينكرون ، وفى الحكم الذهبية عن الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله
عنه « ما أنت بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تبلغُهُ عُقُولُهُمْ إلا كانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ » .

الحق أن الإغراب على القراء بمثل هذه الأفكار المسمومة تشكيك لهم فى عقائدهم
الصحيحة وتسميم لعقولهم بالآراء الزائفة ، والحق أبلج واضح لا يحتاج إلى تكلف وتعمل
وتفلسف من غير داع ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

* * *

مَتَى كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ ؟

يكاد يجمع العلماء المحققون على أن الإسراء والمعراج كانا بعد البعثة المحمدية وأنها كانا
فى اليقظة لا فى المنام .

وقد تظاهرت على هذا الروايات المتكاثرة فى كتب الحديث المعتمدة المشهورة ، وكتب
السير الموثوق بها .

وما روى من أنها كانا قبل أن يوحى إليه ، أو أنها كانا مناما كما في حديث شريك بن عبدالله^(١) عن أنس فهو غلط من شريك ، وقد خالف فيه شريك أصحاب أنس في إسناده^(٢) ، ومثته بالتقديم والتأخير ، والزيادة المنكرة ، وأشد أوهامه - أغلاطه - قوله : سمعت أنس بن مالك يقول : ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أن جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه .

والإمام البخارى قد أخرج في صحيحه الرواية الصحيحة عن أنس في عدة مواضع من كتابه ، وذكر أيضاً هذه الرواية التي وقع فيها الغلط ، ولعل ذلك لينبها إلى ما فيها من غلط ، وللإمام البخارى في سوق الروايات والمتون المكررة شغوف نظر ، ومقاصد دقيقة لا يقف عليها إلا من أطال النظر في هذا الكتاب الجليل .

وقد نبه على غلط شريك بن عبدالله في روايته الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه فقد قال بعد ذكر سند رواية شريك : « وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني ، وقدم فيه شيئاً وآخر ، وزاد ونقص »^(٣) .

وأنكر ما في حديث شريك من أوهام أيضاً الأئمة : الخطابي ، وابن حزم ، والقاضى عياض ، والنووى وغيرهم .

وقال الحافظ عبدالحق في كتابه « الجمع بين الصحيحين » بعد ذكر رواية شريك « هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس ، زاد فيه زيادة مجهولة ، وأتى فيه بالفاظ غير معروفة ، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين ، والأئمة المشهورين كابن شهاب - أبى الزهري - وثابت البناني ، وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث » .

(١) شريك بن عبدالله بن أبى نمر تابعى مدنى وهو أكبر من شريك ابن عبدالله النخعى القاضى .

(٢) يعنى أصحابه الذين رواوا عنه .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢١٧ .

فِي أَيِّ سَنَةٍ وَشَهْرٍ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

وقد اختلف في أي سنة كانا؟ وفي أي شهر؟

قال البعض إنهما كانا قبل الهجرة بسنة وإلى هذا ذهب الزهري وعروة بن الزبير، وابن سعد، وادعى ابن حزم الإجماع على هذا.

وقيل قبل الهجرة بستين، وقيل بأكثر من ستين. والذي عليه الأكثرون والمحققون أنهما كانا في شهر ربيع الأول وقيل في شهر ربيع الآخر وقيل في شهر رجب وهو المشهور بين الناس اليوم والذي تركز إليه النفس بعد البحث والتأمل أنها كانا في ربيع الأول في ليلة الثاني عشر منه أو السابع عشر منه.

وقد ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» أثرًا عن جابر وابن عباس يشهد لذلك قالا: «وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَفِيهِ بُعِثَ، وَفِيهِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفِيهِ هَاجَرَ».

فربيع الأول من عمر الدعوة الإسلامية بمرتلة الربيع من الزمان قال ابن كثير بعد ذكر الرواية السابقة: «وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته، وقد أورد هنا حديثًا لا يصح سنده ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين منه والله أعلم».

ثم قال: «ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول جمعة من رجب وهي ليلة الرغائب الذي أحدث فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم»

إمكان الإسراء والمعراج

تكاد تنحصر شبه المخالفين في الإسراء والمعراج بالجسد في استبعاد الذهاب من مكة إلى بيت المقدس ثم الصعود إلى السماوات العلوى ثم الرجوع من حيث أتى في جزء من الليل ، وفي أن القرآن الكريم لم يذكر المعراج كما ذكر الإسراء ، وفي أن المعراج يترتب عليه الخرق والالتئام في الأفلاك والسماوات وذلك مستحيل .

وفي أن الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية محدودة بثلاثمائة كيلو مترا تقريبا فمن جاوزها صار عرضة للموت المحقق لعدم وجود الهواء الذي لا بد منه للحياة .
وهي شبه لا تثبت أمام البحث العلمي الصحيح .

فالإسراء والمعراج أمران ممكنان عقلاً أخبر بهما الصادق المصدوق عليه السلام في القرآن الكريم المتواتر وفي الأحاديث الصحيحة المشهورة فوجب التصديق بهما ومن ادعى استحالتها فعليه البيان وهيئات ذلك وكونها مستبعدين عادة لا ينهض دليلاً ولا شبه دليل على الاستحالة وهل المعجزات إلا أمور خارقة للعادة كما قدمنا في صدر هذه الرسالة ؟ ولو أن كل أمر لا يجري على سنن العادة جدير بالإنكار لما ثبتت معجزة نبي من الأنبياء .
ثم ما قول المنكرين لمثل هاتين المعجزتين فيما صنعه البشر من طائرات نفاثة ، وصواريخ جبارة تقطع آلاف الأميال في زمن قليل فإذا كانت قدرة البشر استطاعت ذلك أفستبعدون على مبدع البشر وخالق القوى والقدر أن يسخر لنبيه « براقا » يقطع هذه المسافة في زمن أقل من القليل ؟

ولست أقصد بهذا أن الإسراء والمعراج من جنس ما يقدر عليه الناس فحاشا لله أن أريد ذلك وإنما أردت تقريبهما لعقول من ينكرونهما بما هو مشاهد ملموس .

وأما شبهة أن المعراج لم يذكر في القرآن كما ذكر الإسراء فيدفعها ما قدمته من أن المعراج أشير إليه في القرآن وذكر وإن لم يكن ذلك تصريحاً ولو سلمنا عدم ثبوته في القرآن فلا ينبغي أن يكون ذلك سبباً للإنكار فما الأحاديث إلا مبينة للقرآن ومتممة له وهي

الأصل الثاني من أصول التشريع في الإسلام ، ومعرفة الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، وإثبات الآيات والمعجزات ، ولو أننا قصرنا الدين ومسائله ، على القرآن الكريم فحسب لفرطنا في كثير من الأحكام والآداب ، والآيات الواضحات الدالة على نبوة النبي ﷺ .

وأما شبهة أن المعراج يترتب عليه الخرق والالتئام وهو مستحيل فنظرية قديمة عفى عليها الزمان ، وأبطلتها النظريات العلمية الحديثة . فقد انتهى بحث العلماء إلى أن الكون كان قطعة واحدة ، ثم تناثرت أجزاءه . وانفصل بعضها عن بعض حتى غدا من ذلك العالم الأرضي والعلوي .

وأعتقد أن هذه المسألة أصبحت غير ذات موضوع بعد التقدم العظيم ، والخطوات الواسعة التي خطاها العلماء في غزو الفضاء والتنقل بين الأجواء والدوران حول الأرض ، وها هم اليوم يفكرون في إنزال إنسان على وجه القمر^(١) ، ومن يدرى ؟ فلعلهم بعد الوصول إلى القمر يفكرون في الوصول إلى غيره من الكواكب والأفلاك ، ولا ندرى ماذا سيتمخض عنه الغد إن شاء الله .

وإني لأنتهز هذه المناسبة لأؤكد أننا معشر علماء الإسلام نرحب بتقدم العلوم والمعارف الكونية ، وأنا ندعو إلى الازدياد من هذه العلوم لأننا على يقين أن تقدم العلوم والكشف الكونية لا يزيد الإسلام إلا قوة ، والقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إلا ثباتاً واقتناعاً للعقل بهما .

وكيف لا نرحب ولا ندعو وهذا قول الحق تبارك وتعالى نقرؤه صباحاً ومساءً ، ونعتقد صدقه وحقيقته : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(٢) بل وأنا على ذلك من الشاهدين .

وإذا جاز لأناس عاشوا في أزمان ماضية لم تتقدم فيها العلوم الفلكية والكونية استبعاد

(١) وقد استطاعوا وأصبح أمراً مفروضاً منه وهذه بعض قدرة البشر فما بالنا بقدرة خالق البشر

سبحانه وتعالى ؟ [الناشر] .

(٢) سورة فصلت الآية ٥٣

الإسراء والمعراج فلا يجوز ذلك قط ممن عاش في عصرنا ورأى وسمع بالكثير من المخترعات والمستكشفات التي كانت تعد فيما مضى ضرباً من الخيال والمحال .

وأما شبهة أن الهواء ينعدم على بعد خاص فهي لا تبرر الإنكار فها هم الغواصون يمشون تحت أعماق الماء الساعات الطوال اكفاء بما معهم من هواء مخزون يتنفسون منه . وها هم رواد سفن الفضاء قد تغلبوا على هذه المشكلة بل وعلى ما هو أشكل منها وأعظم خطراً ، ويختزنون معهم في سفنهم من الهواء ما يكفيهم للتنفس ويحفظ عليهم حياتهم أياماً لا ساعات .

فإذا تمكن الإنسان على عجزه وقدرته المحدودة ، أن يتغلب على ذلك أفستبعد على قدرة الله أن يحفظ حياة نبيه في الطبقات التي ينعدم فيها الهواء بأى وسيلة من الوسائل ؟ ومن بعد ذلك كله نقول كلمة الإيمان :

إن الله سبحانه الذى خلق السماوات والأرضين معلقة في الفضاء بلا عمد وأمسكها أن تزلوا وتسقطا ، وأبدعها أيما إبداع ، وربط الأسباب بالمسببات ، وأوجد نواويس الكائنات ، وعلم ما يحتاج إليه كل كائن حي من إنسان أو حيوان أو نبات . وقدر لكل ما يحفظ له حياته لقادر أن يسرى بنبيه من مكة إلى بيت المقدس ثم يعرج به إلى سدة المنتهى في جزء من الليل وأن يحفظ عليه حياته في عروجه من الأرض إلى السماء .

* * *

الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج

ولقد روى أحاديث الإسراء والمعراج كثير من الصحابة رضوان الله عليهم - وتلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون وخرجها أئمة الحديث في كتبهم كالأئمة : البخارى ، ومسلم ، وأحمد ، والترمذى ، والنسائى ، والبيهقى ، وابن جرير الطبرى وغيرهم ، وذكرها الإمامان محمد بن اسحاق وابن هشام في سيرتهما .

قال العلامة ابن كثير في تفسيره : قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه « التنوير في مولد السراج المنير » بعد أن ذكر حديث الإسراء والمعراج من طريق أنس وتكلم عليه

فأفاد ، وأجاد « وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب ، وعلى ، وابن مسعود ، وأبي ذر ، ومالك بن صعصعة ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وابن عباس ، وشداد بن أوس ، وأبي بن كعب ، وعبدالرحمن بن قرظ ، وأبي حبة ^(١) ، وأبي ليلى الأنصاريين ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وجابر ، وحذيفة ، وبريدة ، وأبي أيوب الأنصاري ، وأبي أمامة ، وسمرة بن جندب ، وأبي الحمراء ، وصهيب الرومي ، وأم هانئ - بنت أبي طالب - وعائشة ، وأسما بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين منهم من ساقه بطوله ، ومنهم من اختصره على ما وقع من المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحيح فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون ، وأعرض عنه الزنادقة والملاحدون ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) .

وقد تكفل بذكر غالب الروايات الواردة في الإسراء والمعراج الإمام ابن كثير في تفسيره فمن أراد استقصاء الروايات فليرجع إليه .
وسأكتفي هنا بذكر أوثق الروايات وأصحها وهي التي اتفق عليها الإمامان الجليلان البخاري ومسلم أو انفرد بها أحدهما .

* * *

رَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ ^(٣)

قال البخاري حدثنا هذبة بن خالد قال : حدثنا همام بن يحيى قال : حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال :

(١) أبو حبة بفتح الحاء وبالباء المشددة على المشهور ، وعند القاسمي بثناه تحتانية وغلط في ذلك ، وذكره الواقدي بالنون .

(٢) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٥ ص ٦٦ .

(٣) انظر باب المعراج من صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٦ .

«بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَظِيمِ وَرَبَّمَا قَالَ - فِي الْحَجْرِ^(١) - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدْ^(٢) قَالَ - أَيْ قَتَادَةَ - وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ^(٣) مَا يَعْنِي بِهِ قَالَ مِنْ تُغْرَةٍ نَحَرِهِ إِلَى تُتَيْهِ^(٤) فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً^(٥) ، فَعُغْسِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ ، وَفَوْقَ الْحِمَا أَيْضَ فَقَالَ لَه الْجَارُودُ : هُوَ الْبَرَّاقُ^(٦) يَا أَبَا حَمْزَةَ - كُنِيَّةُ أَنَسٍ - قَالَ أَنَسُ : نَعَمْ يَضَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ^(٧) فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ فَاَنْطَلَقَ بِي جَبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ^(٨) فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جَبْرِيلُ ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟^(٩) قَالَ نَعَمْ ، قَالَ مُرْجَبًا بِهِ فَنَعِمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهِ آدَمُ ، فَقَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ : مُرْجَبًا بِالْأَيْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ^(١٠) .

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ قِيلَ . مُرْجَبًا بِهِ فَنَعِمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ^(١١) .

-
- (١) الحَظِيمُ هُوَ الْحَجَرُ عَلَى الصَّحِيحِ وَالرَّأْيُ لَمَّا لَمْ يَتَأَكَّدْ أَى اللَّفْظَيْنِ قَالَ ؟ ذَكَرَهُمَا عَلَى صِبْغَةِ الشَّكِّ لِيُخْرِجَ مِنَ الْعَهْدَةِ ، وَهِيَ أَمَانَةٌ فِي النُّقْلِ مُشْكُورَةٌ .
 - (٢) الْقَدْ هُوَ الْقَطْعُ .
 - (٣) لَعَلَّ الْجَارُودَ بَنَ أَبَى سِرَّةِ الْبَصْرِيِّ صَاحِبِ أَنَسٍ وَأَحَدِ الرُّوَاةِ عَنْهُ .
 - (٤) التُّغْرَةُ الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ بَيْنَ التُّرُقُوتَيْنِ ، وَالثَّنَّةُ بَضْمُ الثَّاءِ وَتَشْدِيدُ النُّونِ مَا تَحْتَ السَّرَّةِ .
 - (٥) يَعْنِي مَمْلُوءَةٌ بِشَيْءٍ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَكَمَالُ الْحِكْمَةِ .
 - (٦) بَضْمُ الْبَاءِ وَتَخْفِيفُ الرَّاءِ مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَرَقِ إِذْ سُرْعَتُهُ فِي سِيرِهِ مِثْلُ سُرْعَةِ الْبَرَقِ فِي لَمْعَانِهِ .
 - (٧) يَعْنِي عِنْدَ مَنْتَهَى بَصَرِهِ وَمَا أَشَدَّ سُرْعَتَهُ مِنْ كَانَ عَلَى هَذَا الْحَالِ .
 - (٨) يَعْنِي طَلَبَ الْفَتْحِ .
 - (٩) يَعْنِي أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِلْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَمَّا أَصْلُ بَعْثِهِ فَشَهْرَةٌ عِنْدَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَعْرُوفَةٌ لَهُمْ .
 - (١٠) اقْتَصَرَ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ لَقِيتُ فِي السَّمَاءِ عَلَى وَصْفِهِ ﷺ بِصِفَةِ الصَّلَاحِ لِأَنَّهُ فِيهَا جَمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالصَّالِحُ هُوَ الطَّيِّبُ فِي نَفْسِهِ الَّذِي يَقُومُ بِمَا عَلَيْهِ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ وَحَقُوقِ الْعِبَادِ .
 - (١١) لِأَنَّهُ أَمُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا خَالَةٌ لِلْآخَرِ وَهَذَا عَلَى أَنَّ مَرْيَمَ وَإِشَاعَ أُمَّ زَكَرِيَّا أَخْتَانِ وَقَبْلَ : إِنَّ إِشَاعَ خَالَةَ مَرْيَمَ فَيَكُونُ فِي الْعِبَارَةِ تَسَامُحٌ وَلَا يَزَالُ الْعَرَفُ عِنْدَنَا فِي مَصْرِ يَعْتَبِرُ خَالَةَ الْأُمِّ خَالَةَ لِلْأَبْنِ .

قال : هذا يحيى وعيسى - عليهما السلام - فسَلِّم عليهما ، فسلمت ، فَرَدًّا ، ثم قالاً
مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صَعِدَ نى إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟
قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ؛ قيل . مرحباً به فنعم المحيى جاء ، فَفُتِحَ ،
فلما خَلَصْتُ إذا يوسف . قال هذا أخوك يوسف فسَلِّم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال :
مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صَعِدَ نى إلى السماء الرابعة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل :
ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أَوَقَدْ أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم
المحيى جاء ، فَفُتِحَ ، فلما خَلَصْتُ فإذا إدريس . قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت
عليه فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد نى حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل ،
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم قيل : مرحباً به
فنعم المحيى جاء . فلما خلصت فإذا هرون قال : هذا هرون فسلم عليه ، فسلمت عليه ،
فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد نى حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .
قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه : قال : نعم قال . مرحباً به فنعم
المحيى جاء ، فلما خَلَصْتُ فإذا موسى . قال هذا موسى فسلم عليه ، فرد ، ثم قال : مرحباً
بالأخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بَكَّى . قيل له ما يبكيك ؟ قال : أَبْكِي لَأَنَّ
غُلَاماً^(١) بُعِثَ بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي .

ثم صَعِدَ نى إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل :

(١) لم يرد موسى عليه السلام التقليل من شأن النبى ﷺ وحاشا لله أن يريد ذلك . وإنما أراد صغر السن بالنسبة
لمن كان أكبر منه سناً من الأنبياء ومع هذا فقد أعطاه الله على صغر سنه ، وقصر مدته ما لم يعط أحداً ممن هو
أسن منه وأطول عمراً وزمناً .

ومن معك ؟ قال : محمد قيل : وقد بعث إليه ؟ قال نعم قال . مرحباً به فنعلم المحيى جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم . قال : هذا أبوك فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم رفعت إلى سدرۃ المنتهى^(١) فإذا نبهها مثل قلال هجر^(٢) وإذا ورقها كأذا الفيلة^(٣) قال : هذه سدرۃ المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فهريان في الجنة^(٤) ، وأما الظاهران فالنيل والفرات^(٥) ثم رفع لى البيت المعمور ثم أتيت من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن فقال^(٦) هي الفطرة^(٧) التى أنت عليها وأمتك .

ثم فُرِضَتْ عَلَى الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت ، فمررت على موسى فقال : بم أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني قد جرّبت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشدّ المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت ، فوضع عني عشر ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشر ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشر فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمسين صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت أمرت بخمسين صلوات كل يوم قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جرّبت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل

(١) سميت بذلك لأنها ينتهى إليها علم كل نبي مرسل ، وكل ملك مقرب ولم يجاوزها أحد إلا نبينا ﷺ .
(٢) قلال جمع قلة وهى الجرة والنبق الثمر يعنى أن ثمرها فى الكبر مثل القلال وكانت قلال هجر معروفة عند المخاطبين بهذا الحديث فلذلك وقع التمثيل بها وهجر : بفتح الهاء والجيم بلد بقرب المدينة .
(٣) يعنى فى الشكل والكبر .

(٤) هما الكوثر والسلسيل .

(٥) سيأتى توجيه ذلك بما يطمئن إليه قلبك ويقتنع به عقلك .

(٦) القائل هو جبريل عليه السلام .

(٧) عبر عن اللبن بالفطرة ، لأنه أول ما يدخل بطن المولود ، ويشق أمعاءه ، وهو الغذاء الذى لم يكن بصنعة صانع غير الله ، والغذاء الكامل المستوفى للعناصر التى يحتاج إليها الجسم فى بنائه ونموه مع كونه طيباً سائغاً للشاربين .

فالمحجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التَّخْفِيفَ لَأَمْنِكَ ، قال : سألت ربي حتى استحييت ، ولكن ضَيَّيْتُ وَأَسْلَمْتُ قَالَ : فَلَمَّا جَاوَزْتَ نَادَانِي مُنَادٍ ^(١) أَمْضَيْتُ فَرَبَضْتَنِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي .

* * *

رَوَايَةُ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ

وإليك رواية الإمام مسلم في صحيحه المتفقة مع رواية البخارى .
قال الإمام مسلم . حدثنا محمد بن المثنى (قال) حدثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن نادة عن أنس بن مالك لعله قال عن مالك بن صعصعة - رجل من قومه - قال : قال

صلى الله عليه وسلم :

« يَبْنَؤُنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْبَقْطَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ لِرَجُلَيْنِ فَأَتَيْتُ ، فَانْطَلَقَ بِي ، فَأَتَيْتُ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ فَشَرَحَ ^(٢) صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ : فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِيَ : مَا يَعْنِي ؟

قال : إلى أسفل بطنه ، فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ، ثم حشيت يماناً وحكمة ، ثم أتيتُ بدابةً أبيضَ يُقَالُ لَهُ : الْبُرَاقُ فَوْقَ الْحِجَارِ ، وَدُونَ الْبَغْلِ يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ جَبْرَيْلُ ^{صلى الله عليه وسلم} فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَبْرَيْلُ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ^{صلى الله عليه وسلم} . قِيلَ : وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ فَفُتِحَ لَنَا وَقَالَ : مَرْحَبًا بِهِ وَلَنَعْمَ الْحَجَىءُ جَاءَ قَالَ . فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ ^{صلى الله عليه وسلم} وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ يُوسُفَ ، وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ ، وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، فَلَمَّا جَاوَزْتَهُ بَكَيْ ، فَنُودِيَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : رَبِّ . هَذَا غَلَامٌ بَعَثْتُهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مَا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي قَالَ : ثُمَّ

(١) المنادى هو الله سبحانه إذ هذا الكلام لا يصدر إلا منه سبحانه وهذا من أقوى الأدلة على أن الله سبحانه وتعالى كلم نبيه ليلة المعراج بغير وساطة .

(٢) يعنى شق .

انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة فأتيت على إبراهيم » وقال في الحديث .

وحدث نبي الله ﷺ أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها^(١) . نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل ما هذه الأنهار ؟ قال . أما النهران الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رُفِعَ لى البيت المعمور فقلت . يا جبريل ما هذا ؟ قال . هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفَ مَلَكٍ إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم^(٢) ثم أُتِيَتْ بِإِنَاءَيْنِ أحدهما خمر ، والآخر لبنٌ فعرضا على فاخترت اللبن فقيل . أصبت . أصاب الله بك . أَمَّتَكَ عَلَى الْفِطْرَةِ^(٣) .

ثم فُرِضَتْ عَلَى كُلِّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً^(٤) . ثم ذكر قصتها إلى آخر الحديث^(٥) .
يعنى على النحو الذى ذكر فى رواية البخارى ، وقد تبَيَّنَتْ أيها القارىء إلى أى حد اتفق الرواة على الروايتين على طولها ، وأنه لم يحصل اختلاف إلا فى ألفاظ قليلة ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على قوة ذاكرة الرواة المسلمين وحفظهم النادر وتدقيقهم البالغ وأمانتهم الفائقة .

رَوَايَةٌ أُخْرَى لِلْإِمَامِ مُسْلِمٍ

قال الإمام مسلم فى صحيحه :

حدثنا شيبان بن فروخ (قال) حدثنا حماد بن سلمة (قال) حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : أُتِيَتْ بِالْبَرَقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَيْضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ ، وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مَنَهَى طَرَفِهِ ، قَالَ : فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أُتِيَتْ

(١) الضمير يعود على سدة المنتهى كما فى رواية البخارى السابقة ورواية مسلم هذه يغلب عليها الاختصار والإيجاز

لأنه ذكر رواية قبل هذه فى صحيحه عن أنس من طريق ثابت البناني وهى أتم من هذه وأوفى وسأذكرها .

(٢) يعنى آخر ما عليهم من دخوله وهذا الوصف يدل على كثرة ملائكة الله الفائقة وأنه لا يعلم عدتهم إلا هو .

(٣) أصبت أى الفطرة أصاب الله . يعنى أراد بك الفطرة والخير والفضل وأمتك تبع لك على الفطرة .

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٥ .

بيت المقدس قال . فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء . ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة^(١) .

ثم عُرج بنا إلى السماء ... » الحديث بطوله^(٢) .

ثم ساق مسلم الحديث على نحو ما ذكره البخارى فى روايته التى ذكرناها أولاً وفى آخرها « فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ : « يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ - يَعْنِي حَسَنَاتٍ - فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكُتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً ... » .

وقد تكفلت رواية مسلم هذه بذكر ما أوجز فى الرواية الأولى من إتيانه ﷺ بيت المقدس والصلاة فيه ركعتين وعرض جبريل على النبى ﷺ اللبن والخمر قبل العروج وهكذا نرى أن الروايات يكمل بعضها بعضاً ، وما تركته إحداها ذكرته الأخرى ، وأنا نخرج من جملة الروايات فى هذا بالبناء الكامل لقصة الإسراء والمعراج وإليك هذه القصة .

قصة الإسراء والمعراج

وقد استقيتها من مجموع الروايات الصحيحة والحسنة المرفقة فى كتب الحديث والسير وقد أخذت على نفسى أن أعرض عن الموضوع والضعيف وهاهى خلاصة القصة :

بينما كان النبى محمد ﷺ باثنا ذات ليلة^(٣) غراء مقمرة ببيت السيدة أم هانئ بنت

(١) فى هذا الحديث الذى رواه الإمام مسلم أن عرض اللبن والخمر كان فى الأرض قبل العروج وفى الحديث الذى اتفق عليه البخارى ومسلم وهو الذى ذكرناه آنفاً أن ذلك كان بعد العروج ومجاورة السهوات السبع وليس هذا باضطراب ولا تناقض وإنما هو محمول على تعدد العرض على النبى فى فترة فى الأرض ومرة فى السماء وتكون كل من الروايتين قد ذكرت ما ترك فى الأخرى اقتصاراً من الراوى على البعض وترك البعض أو نسياناً ومهما يكن من شىء فلا يعتبر ذلك عند أهل الفن مطعناً فى الحديث .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٥ ط حجازى .

(٣) هذا على ما اخترته ورجحته من أن الإسراء والمعراج كانا فى ربيع الأول ليلة الثانى عشر أو السابع عشر منه .

عمه أبى طالب ، بين عمه حمزة المغوار ، وابن عمه جعفر الطيار ، إذ فُرجَ سقفُ البيت وهو مضطجع بين النائم واليقظان ، ونزل عليه ثلاثة نفر من الملائكة الأطهار ، جبريل ومعه اثنان من الخيرة الأبرار ، فاحتملوه حتى أتوا به الحِجْرَ بالمسجد الحرام ، فَشَقَّ جبريلُ عليه السلام صدرَه الشريف ، وأتى بِطَسْتٍ من ذهبٍ مملوء بماء زمزم الميمون المبارك ، فغَسَلَ به قلبه الشريف ، ثم أَفْرَغَ في قلبه ينابيع الإيمان والحكمة استعدادا لما يشاهده في هذه الليلة المباركة من الآيات الكونية ، ولما سيلقى عليه من أنواع الفيوضات الإلهية .

ثم جىء له بالبراق ، وهو خلق من مخلوقات الله العجيبة ، على صورة الحيوان ، لكنه ذو سرعة فائقة ، وقدرة خارقة ، على قطع المسافات الشاسعة ، كالبرق بل هو أشد منه في الإسراع ، حتى أنه ليضع قدمه عند منتهى الإبصار ، وأخلق بمثله أن يطوى الفيافي والقفار ، في ساعة من ليل أو نهار .

فركبه رسول الله ﷺ ، فسار به وهو مزهو بهذا الشرف الرفيع ، وجبريل الأمين أخذ بالركاب الكريم ، وفي الطريق مر الأمين والأمين^(١) بأرض ذات نخل وزروع ، فقال جبريل للنبي ، إنزل فصل ، فترل فصلى ، فقال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال : الله أعلم ، قال . صليت بطيبة^(٢) ، وإليها المهاجرة ، ثم سارا ، فقال جبريل للنبي : انزل فصل ، فترل فصلى ، فقال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال الله أعلم ، قال لقد صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليما ، ثم سارا ، فقال جبريل للنبي : انزل فصل ، فترل فصلى ، فقال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال : الله أعلم ، قال : لقد صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام^(٣) .

وما زال البراق يطوى الأرض طيا ، حتى أتى بيت المقدس فربطه رسول الله بالحلقة التى كان يربطه بها الأنبياء قبله ، ثم دخل المسجد الأقصى فوجد الأنبياء فى استقباله ،

(١) الأمين الأول هو نبينا محمد وقد عرف بذلك حتى قبل البعثة ، والأمين الثانى : هو جبريل لأنه أمين الوحي .

(٢) طيبة هى المدينة المنورة وإليها كانت هجرة النبي ﷺ .

(٣) ورد ذكر الصلاة فى هذه المواطن الثلاثة فى سنن الترمذى .

ترحبيا بالقادم الكريم ، ثم أقيمت الصلاة ، فتدافعوا أيهم يصلي إماما ، فأخذ جبريل بيد النبي ﷺ فقدمه إماماً ، فصلى بهم ركعتين ^(١) ، فلما قضيت الصلاة وقد بلغ العطش من النبي أشده ، جاءه جبريل بإناء من لبن ، وإناء من خمر ، فاختر اللب ، فقال له جبريل اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر لكفوت أمتك .

وإنه لتشريف وتكريم ، أن يحشد الله سبحانه أنبياءه ورسله ، للقاء خاتمهم وآخرهم ، فما عرفت الدنيا حفلا أكرم من هذا الحفل ، ولا قادما أشرف من هذا القادم ، وإنه لمقام يعجز عنه وصف الواصفين ، مهما أوتوا من بلاغة ولسان مبين .

ثناء الأنبياء على ربهم :

وفي هذا المقام المشهود ، واللقاء الموعود أثنى بعض الأنبياء على ربهم ^(٢) بمحامد هو أحق بها وأهلها ، وآلاء تمنن عليهم وعلى أممهم بها .

ثناء الخليل :

فقال إبراهيم الخليل عليه السلام الحمد لله الذى اتخذنى خليلا ، وأعطانى ملكا عظيما ، وجعلنى أمة قانتا يؤتمن بى ، وأنقذنى من النار ، وجعلها على بردا وسلاما .

ثناء الكليم :

وأثنى موسى عليه السلام على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمنى تكليما ، وجعل هلاك آل فرعون ، ونجاة بنى إسرائيل على يدى ، وجعل من أمتى قوما يهدون بالحق ، وبه يعدلون .

(١) فى صحيح مسلم : « وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس شبيها به عروة بن مسعود الثقفى . وإذا إبراهيم عليه السلام أشبه الناس به صاحبكم - يعنى نفسه - فحانت الصلاة فأتمتهم » (مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٣٨) .

(٢) هذا الثناء ورد فى رواية أنى هريرة وهى التى رواها الإمام ابن جرير الطبرى فى تفسيره .

ثناء داود :

وأثنى داود عليه السلام على ربه فقال : الحمد لله الذى جعل لى مُلكاً عظيماً ، وعَلَّمَنِ الزُّبُورَ ، وَأَلَانَ لى الحديد ، وسخر لى الجبال يُسَبِّحُنَ والطيرَ ، وأعطانى الحكمةَ وَفَضَلَ الخطابَ .

ثناء سليمان :

وأثنى سليمان عليه السلام على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون لى ما شئت من محارِبَ وتماثيلَ ، وَجِفَانٍ كالجَوَابِ ، وقُدُورَ رَاسِيَاتٍ ، وعَلَّمَنِ منطقَ الطيرَ ، وآتَانى من كل شىء فضلاً ، وسخر لى جنودَ الشياطينَ ، والإنسَ والطيرَ ، وَفَضَّلَنِ على كثير من عباده المؤمنين ، وآتَانى مُلكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعدى ، وجعل ملكى ملكاً طيباً ليس فيه حساب .

ثناء عيسى :

وأثنى عيسى عليه السلام على ربه عز وجل فقال : الحمد لله الذى جعلنى كَلِمَةً وجعل مَثَلِى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعَلَّمَنِ الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ ، وجعلنى أخلقُ من الطين كهيئة الطير فَأَنفُخُ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وجعلنى أُبرِئُ الأَكْمَةَ والأَبْرَصَ ، وَأُحْيِى الموتى بإذن الله ، ورفعنى وطهرنى ، وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عَلَيْنَا سَبِيلٌ .

ثناء محمد :

وأثنى محمد صلوات الله وسلامه عليه على ربه عز وجل فقال : كلِّمكم أثنى على ربه ، وأنا مُثْنٌ عَلَى رُبِّى : الحمد لله الذى أرسلنى رحمةً للعالمين ، كَافَّةً للناسِ بشيراً ونذيراً ، وأنزل عَلَى الْفُرْقَانِ فيه بيانٌ لكل شىءٍ ، وجعل أُمِّى خيراً أمةً أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وجعل أُمِّى أمةً وَسْطاً وجعل أُمِّى هم الأولون وهم الآخرون ، وَشَرَحَ لى صدرى ، وَوَضَعَ عَنِّى

وَزَرِي ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحاً وخاتماً» (١)

فقال إبراهيم الخليل عليه السلام : بهذا فضلكم محمد عليه الصلاة والسلام

* * *

مَا رَآهُ النَّبِيُّ فِي مَسْرَاهُ

لقد كانت ليلة الإسراء والمعراج من الليالى الزهراء ، فقد شاهد النبي فيها سواء في مسراه في الأرض ، وعروجه إلى السماء ، ما شاء الله له أن يشاهد من الآيات والآلاء ، وتملت العينان مما رأى ، ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، ووعى القلب الكبير ما رآته العينان ، ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ وامتلاً بجلال الله وعظمته ، ونوره وتجلياته .

وقد شاء الله أن تضرب الأمثال للنبي في هذه الليلة الميمونة ذات البركات ، ووراء هذه الأمثال ما وراءها من العبر والعظات ، والإشارات والبشارات ، وللأمثال عند بنى الإنسان - ولاسيما العرب - شأن وأى شأن ، فهى تريك المعقول فى صورة المحسوس ، والغائب فى صورة المشاهد ، والمأمول المرتقب فى صورة الواقع المحقق ، وهى بما فيها من دقة التصوير ، وسمو التعبير عن الغرض المقصود ، تستولى على النفوس ، وتَهز أوتار القلوب ، فلا عجب أن ضربت الأمثال للنبي فى مسراه ، وصورت تصويراً دقيقاً معبراً ، يرى المشهد العجيب ، فيستفسر عنه من جبريل ، فيجيب إجابة الحكيم ، المخبر عن رب العالمين ، ليكون من وراء ذلك العظة لقوم يعقلون .

وإليك بعض هذه المشاهد المؤثرة المعبرة : (٢)

- ١ - فمن ذلك أنه رأى امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت : يا محمد انظرنى أسألك ، فلم يلتفت إليها فقال النبي ﷺ من هذه يا جبريل ؟ قال : تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة .
- ٢ - وأنه رأى قوما يزرعون ويحصدون كلما حصدوا عاد الزرع كما كان فقال : ما هذا

(١) يعنى خاتماً للأنبياء ، وفاتحاً للشفاعاة يوم القيامة .

(٢) هذه المشاهد وردت فى حديث أبى هريرة عند الطبرانى والبراز (فتح البارى ج ٧ ص ١٥٨) .

يا جبريل ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعائة ضعف ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

٣ - وأنه ﷺ أتى على قوم تُرْصَخُ^(١) رؤسهم بالحجارة كلما رُصِخَتْ عادت كما كانت ولا يُفْتَر^(٢) عنهم من ذلك شيء فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة .

٤ - وأنه أتى على قوم على أَقْبَالِهِمْ^(٣) رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف^(٤) جهنم فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يُؤَدُّون زكاة أموالهم المفروضة^(٥) وما ظلمهم الله شيئا ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ .

٥ - وأتى على قوم بين أيديهم لحم طيب نصيح ، ولحم آخر نيسى^(٦) فذر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النيسى الخبيث ويدعون النصيح الطيب فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا ، فتأتى رجلا خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح .

٦ - وأتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها فقال :

(١) تكسر وتهشم .

(٢) لا يقطع عنهم هذا التعذيب .

(٣) جمع قبل العورة الأمامية .

(٤) الضريع شجر ذو شوك من أخصب الطعام وأضره والزقوم شجرة تنبت في النار كرهة النظر . مرة الطعم وهى طعام أهل النار ، رضف جهنم : حجارتها المحماة جمع رصفة كسر وقرة .

(٥) وما أصدق التطابق بين المثل والمثل له فقد ظن مانعوا الزكاة وكانوا الأموال أنها ستكون لهم سراً وجاها فإذا بها عرى وفضيحة ، وقصدوا أن يملأوا بها بطونهم وخزائنهم فإذا هى ضريع وزقوم وحميم يقطع أمعاءهم ويفسد عليهم طعامهم وشرابهم .

(٦) نيسى على وزن حمل ونى عامى .

ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها ، وهو يريد أن يحمل عليها .

٧ - وأتى على خشبة منصوبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شيء إلا خرقتة ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونها ^(١) ثم تلا قول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوَعَّدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ^(٢) .

٨ - وأتى على قوم تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة .

٩ - وأتى على منظر عجيب ، ثقب صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها .

١٠ - ومر على قوم بطونهم أمثال البيوت لضخامتها ، كلما نهض أحدهم خر ، فقال النبي ﷺ : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هم آكلو الربا ومصدق ذلك من كتاب الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ^(٣) .

١١ - ومر على قوم مشافهمهم ^(٤) كالإبل يلتقمون حجراً فيخرج من أسافلهم فقال النبي ﷺ : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً ومصدق

(١) يعني بإيذاء المارة بألسنتهم وجوارحهم وصددهم عن طرق الخير .

(٢) سورة الأعراف الآية ٨٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .

(٤) شفاههم كمشافر الإبل أى شفاهها فى الغلط والتقرح .

ذلك من كتاب الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (١) .

ألا ما أروع المشهد ، وما أدق التصوير ، وما أنبل الغرض ، وما أوفى العبرة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

* * *

المِعْرَاجُ

وقفت بك - أيها القارئ الكريم - عند انتهاء النبي ﷺ من الصلاة بالأنبياء في المسجد الأقصى وبذلك تم الإسراء وبدأ المعراج .

وهناك في هذه البقعة المباركة التي هي مثابة الأنبياء ومهاجرهم ، وأولى القبلتين ، وثاني المسجدين عرج بالنبي ﷺ ومعه صاحبه جبريل حتى وصلا إلى أول سماء فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال : جبريل قيل : وهو معك ؟ قال : محمد . قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم قال : مرحباً به فنعيم الحجيء جاء ثم فتح لهما فإذا آدم عليه السلام فقال جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالنبي الصالح ، والإيبن الصالح وهكذا كلما وصلا إلى سماء أخرى ، استفتح جبريل ، وحصل السؤال بمثل ما حدث في السماء الأولى ، فيؤذن لهما بالدخول والصعود . فوجدوا في السماء الثانية السيد الحصور يحيى بن زكريا ، وكلمة الله عيسى ابن مريم عليهما السلام .

وفي السماء الثالثة من أعطى شطر الحسن يوسف عليه السلام .

وفي السماء الرابعة من كان صديقا نبيا ورفع الله مكانا عليا إدريس عليه السلام .

وفي السماء الخامسة من جعله الله وزير صدق لأخيه : هرون عليه السلام .

وفي السماء السادسة كلم الله موسى عليه السلام .

(١) سورة النساء الآية ١٠

وفي السماء السابعة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .
وهناك رُفِعَ للنبي البيت المعمور وهو بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً .

ثم عرج النبي ﷺ إلى سدره المنتهى ، وقد غشيها من جلال الله ، وعجيب خلقه ما غشيها ، فما يستطيع أحد من خلق الله ، مهما أوتى من بيان أن ينعتها من حسنها وبديع صنعها .

وهناك عند سدره المنتهى انتهى جبريل إلى مقامه المعلوم ، ثم عرج بالنبي صاحب المقام المحمود ، في أجواء من الأنوار ، وسبحات من الجلال والجمال والكمال ، وفضاء لا يعلم مداه إلا علام الغيوب ، حتى ارتقى إلى مستوى سمع فيه صريف ^(١) أقلام الملائكة الكرام وهناك أراه ما أراه من آياته الكبرى ، وأوحى إلى عبده ونجيه محمد ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة ، فرجع الحبيب ومر على موسى الكليم ، فقال له : يا محمد بم أمرت ؟ قال : بخمسين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع ذلك ، وإني قد بلوت بني إسرائيل قبلك ، وعالجتهم على مادون ذلك فما استطاعوا فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فرجع سيدنا محمد إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه بعضها ، ثم عاد النبي ومر على موسى ، فقال له مثل مقالته الأولى ، ولم يزل النبي يرجع بين موسى وبين ربه سائلاً التخفيف ، حتى قال الحق تبارك وتعالى ﴿ يا محمد إنهن خمس صلوات في اليوم والليلة ، وهن خمسون في الثواب ﴾ ، فنزل النبي ﷺ وسلم حتى انتهى إلى موسى عليه السلام ، فأخبره بمقالة الرب جل وعلا ، فقال له : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال له السيد الحي الرضى : سألت ربي حتى استحيت ، ولكن أرضى وأسلم ، فلما جاوز ناداه الرب جل وعلا ﴿ أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ﴾ .

ثم عاد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه محفوفاً بالإكرام والعناية الربانية ، وعليه

(١) الصريف : صوت القلم والمراد الأقلام التي تكتب بها الملائكة ما يشاء الله من تدبيره في الأكوان .

هالات من الجلال والتجليات الإلهية ، حتى وصل إلى بيت المقدس ، وعاد إلى البلد الحرام ، وهو في غاية من السكينة والوقار .

وبذلك تمت فصول قصة الإسراء والمعراج .

* * *

في صبيحة ليلة الإسراء والمعراج

وفي صبيحة الليلة المشهورة الغراء أخبر رسول الله ﷺ أم هانئ بما جرى ، فقالت : يا رسول الله : لا تحدث قومك بهذا فيكذبوك ويؤذوك . فقال والله لأحدثنهم به ، فغدا إلى المسجد الحرام ، فجاء إليه أبو جهل ، وهو جالس يفكر ، فقال للنبي هل من خبر ؟ قال نعم قال : وما هو ؟ قال أسرى بى الليلة قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس قال : ثم أصبحت بين ظهرائنا ؟ !!

قال : نعم قال : أرايت إن دعوت قومك أحدثهم بما حدثتني به ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فصار أبو جهل ينادى بطن قريش ، فاقبلوا فقص عليهم رسول الله القصة ، فصاروا ما بين مصفئ وواضع يده على رأسه تعجباً ، وأرتد جماعة من ضعفاء الإيمان ، وصار حديث الإسراء مشغلة المجتمع القرشي في كل مجلس وناد .

وسعى رجال إلى سيدنا أبى بكر - رضى الله عنه - يخبرونه فقال كلمة الإيمان : لئن كان قد قال ذلك لقد صدق فقالوا له : أتصدقه على ذلك ؟ قال : إني لأصدقه على أبعد من هذا ، أصدقه على خبر السماء (١) .

فسمى أبوبكر رضى الله عنه وأرضاه من ذلك اليوم صديقاً .

الاختبار

وجاء دور الاختبار ، وكان الكثيرون من المشركين يعرفون بيت المقدس وأوصافه لكثرة ترددهم عليه في تجاراتهم وأسفارهم فسألوا النبي ﷺ عن أوصاف المسجد الأقصى ، ولم يكن النبي رآه إلا في هذه الليلة ، وقد كان في شغل شاغل عن الإحاطة بالوصف ،

(١) يريد - رضى الله عنه - مجيء جبريل عليه السلام بالوحي من السماء في زمن وجيز من ليل أو نهار .

والواحد منا قديغشى مسجد الحى طيلة عمره ، ومع هذا تسأله عن عدد أساطينه أو شباييكه فلا يدرى ، فلا عجب إذا كان النبي ﷺ قد كرب كرباً شديداً لم يكرب مثله قط ولكن الله الذى أسرى به ، ورفعته فوق السبع الطباق ، وأيده بروح منه أزال الحجب والموانع ، وجلاله له حتى صار مرئياً له فجعل ينظر إليه ويصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً فبهتوا وقالوا : أما الوصف فقد أصاب .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما^(١) أن رسول الله ﷺ قال - وهذا لفظ البخارى :

« لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ - فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ^(٢) فَطَفَقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » .

وأخبرهم أيضاً بأمارات فى الطريق تشهد بصدقه : أخبرهم أنه مرَّ بعير بنى فلان بوادى كذا فأنفرها حس الدابة^(٣) ، فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ثم رجعت حتى إذا كنت بصحنان^(٤) مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياماً ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء ، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ٦٦ ، صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) الظاهر أنه جلالة له من غير انتقال ، وأنه أزال له الحجب والموانع حتى كأنه مائل أمامه ، ولا أدرى كيف يستبعد البعض مثل هذه المعجزة وقد توصل العقل البشرى فى عصرنا إلى اختراع « التليفزيون » فىرى الراى فيه صورة أى شيء حتى ولو كان بينها آلاف الأميال فإذا توصل الإنسان على قصوره إلى هذا ، أفنستبعد هذه المعجزة على قدرة صانع البشر وخالق القوى والقدر ، والعليم بما كان وما يكون ؟ !

ويشهد لذلك التوجيه مارواه مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة قال : « لقد رأيتنى فى الحجر وقرىش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها : فكربت كربة ما كربت مثله قط قال : فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شيء إلا أنبأتهم به » مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٣٨ .

وقيل إن الله أحضر له بيت المقدس حتى صار على مقربة منه وليس ذلك بعزير على الله فقد أحضر الذى عنده علم من الكتاب عرش بلقيس أمام سليمان فى أسرع من لمح العين كما حكى ذلك القرآن الذى لا يتطرق إليه شك أو ارتياب .

(٣) هو صوت سرعة سيرها .

(٤) موضع .

وأخبرهم أنها تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورك^(١) فما وافى اليوم حتى خرجوا يشتدون نحو مدخل مكة .

فقال قائل : هذه - والله - الشمس قد أشرقت ، فقال الآخر : وهذه - والله العير قد أقبلت ، وقد استفسروا من أصحاب العير عن الإناء فصدقوا ما قاله النبي .

وبعد كل هذه الآيات البينات ، والشواهد المحسوسات ، لم يزد القوم إلا كفراً وعناداً وصدق الله ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ .

* * *

صَلَاةُ جَبْرِيلَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وفي غداة اليوم التالى لليلة الإسراء والمعراج . جاء جبريل إلى النبي ﷺ يعلمه كيفية الصلاة ، ويبين له أوقاتها فما إن زالت الشمس حتى أمر رسول الله ﷺ فنودي بأصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل عند البيت : النبي يقتدى بجبريل ، والمسلمون يقتدون بالنبي من ظهر هذا اليوم إلى فجر اليوم التالى .

وفي صحيح مسلم عن أبى مسعود البدرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نَزَلَ جَبْرِيلُ فَأَمَّنِي فَصَلَّيْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ، يَحْسِبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ » .

وقيل إن جبريل عليه السلام صلى بالنبي يومين متتالين ليبين له الوقتين الأول والآخر لكل صلاة . روى عن ابن عباس وجابر أن النبي ﷺ قال : « أَمَّنِي جَبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ » .

ومن هذه الليلة صارت الصلاة فرضاً موقوتاً على كل مسلم ومسلمة ، وركنا من أركان الإسلام تشهد لمؤديها بالإخلاص والمواظب عليها فى أوقاتها بطهارة القلب ، واستقامة السلوك ، وصلاح الأحوال .

(١) لونه رمادى .

فلله أنت يا ليلة الإسرائء والمعراج فلو لم يكن لك من الفضل والمنزلة إلا فرض الصلوات الخمس لكفى .

* * *

تَوْضِيحَاتٌ وَتَعْلِيْقَاتٌ

فى بعض ما ذكرته من روايات ، وما سرده من قصة الإسرائء والمعراج ما يحتاج إلى شىء من التوضيح ، وإزالة الإيهام ، ورفع الإشكال وما هو فى حاجة إلى تبيان الحكمة ، وكشف اللثام عن الأسرار وفى الحق أن الكثير مما عرضت له ، قد سئلت عنه من كثير من الناس ، بل أذكر أنى كنت أحاضر فى الإسرائء والمعراج فى بلدتنا «منية جناح» (١) من قرابة عشرين عاما . فسئلت عن بعضها لا من المثقفين فحسب . بل ومن عوام الناس . وقد سرفى أن بعض إخواننا الفلاحين كانت تصدر منهم هذه الأسئلة التى تم عن ذكاء فطرى ، وصفاء نفسى ، وتدين أصيل فى هذا الشعب الكرم :

- ١ -

قد يستشكل بعض الناس وجود الأنبياء الذين لقيهم النبى ﷺ فى السماوات مع أن أجسادهم غير عيسى عليه السلام فى الأرض .

وللجواب عن هذا نقول إن أرواح الأنبياء فى أعلى عِلِّيِّين فيجوز أن تكون أرواحهم تشكلت بصورة أجسادهم تشريفاً وتكريماً للقاء القادم الكريم ، ويجوز أن يكونوا بعثوا من قبورهم وحلت أرواحهم فى أجسامهم استعداداً للقاء النبى ثم عادت أجسامهم إلى قبورهم ، وبقيت أرواحهم فى مستقرها من السماء ، ولا تستكثر شيئاً على قدرة الله سبحانه ، وليكن فى عقلك فسحة لهذا وأمثاله .

ومثل هذا يقال أيضاً فى اجتماعهم بالنبى بيت المقدس وصلاته بهم وثنائهم على ربهم ، والذى أميل إليه هو التوجيه الأول ، وتشكل الأرواح بصورة الأجساد أمر غير مستغرب ولعلك على ذكر مما ذكرناه لك سابقا عن الإمام ابن القيم من وجود الارتباط

(١) هى قرية على سيف نهر النيل فرع رشيد كانت تتبع قديماً مديرية الغربية والآن تتبع محافظة «كفر الشيخ» .

القوى بين أرواح النَّبِيِّينَ وأجسادهم وأنهم بهذا الارتباط يكون منهم بعض التصرفات التي لا تكون إلا من الأحياء ، والله في ملكوته الذي لا يحيط به إلا هو آيات وعجائب ، وما خفي علينا أكثر مما علمنا ، والليلة كانت مليئة بالعجائب وخوارق العادات ، وكل ما حدث به النبي ﷺ وصح ثبوته عنه فهو حق لا شك فيه وصدق الله ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ ، ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ .

- ٢ -

قد يقول قائل : لم أُسْرَى بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس ثم عُرِجَ به من هناك ؟ وَلَمْ لِمَ يعرج به من مكة أشرف البقاع وأحبها إلى الله ؟

وقد أبان السرفى هذا الشيخ الإمام أبو محمد بن أبي جمرة في كتابه « بهجة النفوس » فقال ما خلاصته مع التوضيح : إن الحكمة في الإسرائ برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس قبل العروج به إلى السماء إقامة الحجة على المشركين والمتشككين ، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمرأمة الكفار والضعفاء سبيلا إلى إلزامهم بالحجة إذ لا علم لهم بالعالم العلوى حتى يسألوا عنه فيجيبهم بما يقيم عليهم الحجة ، بخلاف ما وقع بالفعل فإنه لما ذكر أنه أُسْرَى به إلى بيت المقدس سأله أن يصف لهم بيت المقدس ، وكانوا يعرفونه في تجاراتهم وأسفارهم . ويعلمون أيضاً أن النبي لم يكن رآه من قبل فلما أخبرهم بأوصافه كان ذلك أكبر آية على صدقه فيما ذكر من الإسرائ إلى بيت المقدس في ليلة ورجوعه منه ، وإذا تحققوا صدقه في الإسرائ لزمهم تصديقه في بقية ما ذكره من المعراج ليؤمن من آمن عن بينة ، ويكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه .

وأيضاً فإن بيت المقدس مهاجر الأنبياء وأول القبلتين ، وثانى المسجدين المشرفين فأراد الله أن يشرف نبيه بالصلاة في البقعتين المباركتين ، وأن يحوز الفضيلتين .

ومن هذا البيان والإفصاح عن السريتين لنا الحكمة في اقتصاره ﷺ صبيحة ليلة

الإسراء والمعراج على الإخبار بالإسراء دون المعراج هذا إلى ما فيه من الرفق بالسامعين ،
والتلطف بهم في قبول الغرائب والخوارق وذلك بالتدرج في الإعلام بذكر الغريب ثم
الأغرب .

ولعل هذا هو السر أيضاً في اقتصار الكتاب الكريم على ذكر الإسراء تصريحاً ففيه رفق
بالعباد ورحمة بهم أن لا يخبرهم بالخوارق دفعة واحدة .

- ٣ -

استشكل بعض الناس قول النبي ﷺ في حديث المعراج الذى سقناه لك فيما سبق :
« ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى وَإِذَا فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ : نَهْرَانِ بَاطِنَانِ ، وَنَهْرَانِ
ظَاهِرَانِ ، أما الباطنان فهريان في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » .

ووجه الاستشكال أن مما لاشك فيه ولا ينبغي أن يمارى فيه إنسان عاقل أن النيل
والفرات ينبعان من الأرض لا من سدرة المنتهى وهذا أمر بدهى .

وسأجيب عن ذلك بما يقنع العقل ، ويطمئن القلب ، ويبين أن الحديث الشريف
والعلم متوافقان وأن الاستشكال إنما جاء من فهم الحديث فهماً ظاهرياً سطحياً ، وإليك
الجواب :

إن هذه الليلة المباركة كانت حافلة بضرب الأمثال ، وقد أرى الله فيها نبيه من الآيات
والعبر ما أراه لحكم وأسرار ، وإشارات وتلويحات ، فما ذكر في الحديث الشريف عن
النيل والفرات وارد على سبيل التمثيل والتصوير ، وأن ما رآه النبي ﷺ هو مثال لما
وذلك كما مثلت له الجنة ﷺ في عرض الحائط في غير هذا الحديث ، وكما مثل له أرواح
الأنبياء وتشكلت بشكل أجسامهم في هذه القصة ، وكما مثل له أرواح نسَم المؤمنين
وأرواح نسَم الكفار عن يمين آدم وعن يساره في هذه القصة أيضاً .

كذلك مثل له النيل والفرات قرب سدرة المنتهى فالذى رآه النبي عند السدرة هو
صورتهما ومثالهما لا عينها وحقيقتها ، وهذا الرأي قد أومأ إليه بعض العلماء القدامى

الأجلاء وهو ما أميل إليه وأرجحه وأرى أن الحديث لا ينبغي أن يفسر إلا به فإن الله سبحانه قد أكثر لنبيه في هذه الليلة من ضرب الأمثال ، وإراءته الآيات .

وقد يقول لى قائل سلمنا لك ما تقول ولكن ما السر في تمثيل هذين النهرين للنبي ﷺ في هذه الليلة بالذات ، وفي هذا المكان المبارك ؟ وإليك الجواب :

إن في تمثيل هذين النهرين في هذه الليلة سرأ وأى سر وهو ما فيه من رمز وإشارة إلى أن الله سبحانه سينجز لنبيه وعده ، وبنى له بنصره ، ويتم عليه نعمته بأن يظهر دينه على الأديان كلها وسيفتح على أمته الأرض حتى تمتد رقعة الإسلام من النيل إلى الفرات ، وهذا ما قد كان إذ لم يمض ربع قرن بعد هذا حتى دخل في الإسلام الأقطار من النيل إلى الفرات .

وليس من شك في أن القلب الكبير وعى كل هذا وأكثر منه . وأنه علم ما فيه من البشرى له ، والإيذان بأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ .

ولعلك على ذكر مما صورناه لك من الظروف والملابسات ، والحالة النفسية المؤلة التي كان يعانها النبي ﷺ قبل الإسراء والمعراج بسبب وقوف القوم في وجه الدعوة الإسلامية ، وصددهم الناس عنها ، وإيذاء الرسول والصحابة .

استطرد لازم :

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فمن هذا القبيل الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ : النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ وَسَيِّحَانُ وَجَيِّحَانُ » فهو مصروف عن ظاهره قطعاً بقرينة الحس والملاحظة .

والحديث خرج مخرج التشبيه والتمثيل وأن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في عذوبتها وكثرة خيراتها ، ونفعها للناس وهو تأويل مقبول ومستساغ لغة وشرعاً .

ومن تتبع كلام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام يجد من أمثال ذلك الشيء الكثير

وليس من البحث العلمى ولا من الإنصاف فى شىء إنكار مثل هذين الحديثين بادى
الرأى بحجة المخالفة للحس والمشاهدة بعد ما تبين من إمكان تفسيرها تفسيراً مستساغاً
مقبولاً فإنها مرويان فى أصح الكتب الحديثية ، ونحن لا ندعى العصمة للبخارى
ولا لمسلم - رحمهما الله - ولكننا نقول : إن من اطلع على شرط هذين الإمامين فى الرواية من
اشتراط العدالة والضبط واتصال السند ، ومعرفتهما أحوال رواة الحديث ظاهراً وباطناً
وتحرهما فى ذلك غاية التحرى مع شفاف النظر ، وسعة العلم ، ودقة النقد - يكاد يجزم
بصحة ما روياه ، وهذا أمر يؤمن به من زاول كتب هؤلاء العلماء ، وعاش معهم ،
وأطال صحبتهم ، وأخذ نفسه بما أخذوا به أنفسهم .

- ٤ -

قد يقول قائل : ما السرى وجود الأنبياء الذين ذكرتهم الروايات فى السماوات على
هذا الترتيب ؟ ولَمْ أَقتصر على هؤلاء دون غيرهم ؟
وقد كفانا الجواب عن هذا الإمام السهلى فقال ما ملخصه - مع التوضيح - :
الحكمة فى الاقتصار على هؤلاء المذكورين من الأنبياء فى الحديث الإشارة إلى ما سيقع
له - ﷺ - مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم .

فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع للنبي ﷺ
من الهجرة إلى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهية فراق ما ألفه
من الوطن ثم كان مآل كل منهما أن يرجع إلى وطنه الذى أخرج منه مكرماً معزراً .
وأما عيسى ويحيى عليهما السلام فالتنبيه على ما وقع له من أول الهجرة من عداوة اليهود
وتماذيهن على البغى عليه وإرادتهن وصول السوء إليه بل وهمن بقتله فكانت النتيجة أن
أنجاه الله من مكرهم ، ونصره عليهم ورد كيدهم فى نحورهم ، كما أنجى عيسى عليه السلام
من قبل منهم حينما عزموا على قتله فرفعه إليه وطهره من رجسهم .

وأما يوسف عليه السلام فقد نبه بما وقع له من إخوته وكيدهم له على ما وقع للنبي من

قريش في عداوتهم له ، وإرادتهم هلاكه ، وتفننهم في الكيد له ، من غير أن يكون لذلك داع إلا أن الله عصمه بفضل منه ورحمة وكانت العاقبة لنبينا كما كانت ليوسف عليهما الصلاة والسلام .

وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك يوم فتح مكة ، وضربه مثلاً عالياً في العفو حيث قال : « أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١) .

وأما إدريس عليه السلام فقد نبه بوجوده في سمائه على رفيع منزلة النبي ﷺ عند ربه ، وعلو شأنه ، وأن دينه سيعلو ثم يعلو حتى يظهر على الأديان كلها ، كما رفع الله نبيه إدريس من قبل مكانا عليا قال سبحانه : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (٢) .

وأما هرون عليه السلام فقد نبه بوجوده في سمائه على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه ، ونالوا منه ، وأصبح أثيراً عند بني إسرائيل وكذلك أنت يا محمد سيحبك قومك بعد أن قلوبك ، ويؤيدونك بعد أن عادوك .

وأما موسى عليه السلام فقد نبه به على ما وقع له من معالجة قومه أشد المعالجة كي يهتدوا ، وإيذائهم له ، وصبره على ذلك أعظم الصبر .

وكذلك أنت يا محمد ستجد في سبيل هداية قومك عنتاً ومشقة ، وسيذيقونك من صنوف البلاء ألواناً ، وسيلحقون بك من المثالب والمعائب ما أنت برىء منه وفي قوله ﷺ « رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى ، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » ما يشير إلى هذا المعنى . وفي الكتاب الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ .

(١) سورة يوسف ٩٣ .

(٢) سورة مريم ٥٦ - ٥٧ .

وأما إبراهيم عليه السلام فقد نبه بوجوده في آخر السماوات ، واستناده إلى البيت المعمور ، بما ختم له في آخر عمره من النصر ودخول مكة فاتحاً منتصراً مع المبالغة في تعظيم البيت ، ورعاية حرمة وما أتم الله به عليه نعمته من إكمال الدين ، وإقامة مناسك الحج ، وحجهم البيت الحرام لا يشاركهم فيه أحد من المشركين وصدق الله حيث يقول مخاطباً المسلمين في حجة الوداع : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) .

ومن المناسبات اللطيفة أن يكون آدم أبو البشر في السماء الأولى وإبراهيم أبو العرب وجد النبي الأعلى في السماء السابعة فبدئت السماوات بأبي البشر ، وختمت بأبي العرب . وأيضاً فلعل في وجود الخليل عليه السلام في السماء السابعة إيناساً للنبي ﷺ في هذا الموقف الذي زج به فيه فريداً وحيداً فكان على مقربة منه جده إبراهيم وذلك على ما هو المعهود عند البشر من الأُنس بالقرب الحبيب (٢) .

- ٥ -

قيل : إن الحكمة في فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج أن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماوات رآها تموج بأصناف الملائكة الكرام الذين لا يحصيهم إلا الله سبحانه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ ورأى من عبادتهم أمراً عجباً ، فمنهم القائم فلا يقعد ، والراكع فلا يسجد ، والساجد فلا يرفع رأسه ، فجمع الله له ولأتمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصلحها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص ، والخشوع . وهذا شيء وإن كان سبق به القضاء الأزلي إلا أن الله سبحانه أظهره بعد وجود ما يقتضيه ، وفي اختصاص فرض الصلاة بهذه الليلة وكونها من غير وساطة بل بكلام الله من وراء حجاب تشريف لها وبيان لعظم مكانتها في الإسلام .

(١) سورة المائدة ٣ .

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ١٦٦ ، ١٦٧ ط البية .

هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج ؟

هذا البحث من المباحث التي اختلفت فيها أنظار العلماء قديماً وحديثاً ، فمن مثبت للرؤية ، ومن ناف لها ، والبعض توقف في المسألة ولم يدل برأى فيها وذلك لتعارض الأدلة ، واختلاف الروايات في ذلك .

وها أنذا أحاول تجلية هذا الموضوع وبيان الحق فيه معتمداً على ما ثبت من الروايات ، وموفقاً بين ما ظاهره التعارض منها كي أصل إلى رأى راجح تدعمه الأدلة .

وهذا الخلاف تمتد جذوره إلى الصحابة - رضوان الله عليهم - فمنهم من أثبت الرؤية ومنهم من نفاها .

النافون للرؤية :

فذهبت السيدة عائشة - رضى الله عنها - وابن مسعود إلى إنكار الرؤية في هذه الليلة ، قال القاضي عياض : وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين .

وكانت عائشة تنكر على من يقول بالرؤية وتشتد في الإنكار ، روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن مسروق قال : كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَائِشَةَ ^(١) ثَلَاثُ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ قُلْتُ : مَا هِيَ ؟ قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ قَالَ : وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِيْنِي وَلَا تُعْجِلِيْنِي ، أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ^(٣) . فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : « إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ » رَآهُ مُنْهَيطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عَظَمَ خَلْقَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَقَالَتْ : أَوْ لَمْ تَسْمَعْ اللَّهَ

(١) كنية مسروق .

(٢) سورة التكوين ٢٣ .

(٣) سورة النجم ١٣ .

يقول : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(١) ، وأن الله يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ ^(٢)

قالت : ومن زعم أن رسول الله ﷺ كَمَّ شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ ^(٣) .

قالت : ومن زعم أنه يُخبر بما يكون في غد ، فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿ قُلْ : لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٤) .

فالسيدة عائشة اعتمدت في إنكارها على أن آية التكوير وآية النجم المراد بهما أن المرئي جبريل لا الله سبحانه اعتماداً على إخبار رسول الله ﷺ لها بذلك وكذلك كان ابن مسعود يرى أن المرئي هو جبريل عليه السلام .

واعتمدت أيضاً على فهمها واجتهادها في الآيتين الآخرين .

أما ما ذهب إليه من أن آية التكوير والنجم في رؤية النبي لجبريل فهذا ما لا ننازعها فيه لأن عائشة اعتمدت في ذلك على ما سمعته من رسول الله ﷺ وما دامت الرواية صحت عن المعصوم ﷺ فلا كلام لأحد مع كلامه .

وليس الأمر كما زعم بعض العلماء من أن عائشة اعتمدت على فهمها واجتهادها في الآيتين لأن رواية مسروق التي سقناها صريحة كل الصراحة في سماعها ذلك من رسول الله .

وأما استدلالها بآية الأنعام : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ .. ﴾ وآية الشورى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ .. ﴾ السابقتين فالظاهر أن هذا باجتهاد منها على حسب ما فهمته .

(١) سورة الأنعام ١٠٣ .

(٢) سورة الشورى ٥١ .

(٣) سورة المائدة ٦٧ .

(٤) سورة النمل ٦٥ .

وفي الحق أن الآيتين لا تدلان على نفي الرؤية ، وإليك البيان :

أما الآية الأولى فلأن الإدراك معناه الإحاطة كما تدل عليه اللغة وفي الكتاب الكريم : ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُرْكُونٌ ﴾ ونفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بدون إحاطة فظهر أن الآية لا تصلح دليلاً لمن ينفي الرؤية .

وكان ابن عباس يؤول هذه الآية على نحو ما ذكرناه أخرج الترمذى من طريق الحكم بن إبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : « رأى محمد ربه » قلت : أليس الله يقول : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ الآية قال : « ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين » .

وأما الآية الثانية : ﴿ وما كان لبشر ﴾ فلا تدل على نفي الرؤية أيضاً لأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام مقارناً لها فيجوز وجود الرؤية من غير كلام والآية حصرت التكليم فى هذه الثلاثة : إما الوحي وهو الإلهام أو المنام ، وإما من وراء حجاب أى بدون وساطة ، وإما بإرسال رسول وهو جبريل والرؤية بدون كلام وراء هذه الثلاثة وبذلك ظهر أن الآية لا تنفي حصول الرؤية . هذا إلى أن رؤية الله فى الدنيا جائزة وسؤال موسى عليه السلام ربه إياها دليل على الجواز ؛ إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على الله سبحانه ، وهى مع كونها جائزة فلم تقع لأحد فى الدنيا إلا لنبيينا صلوات الله وسلامه عليه .

القائلون بالرؤية :

وذهب جماعة من السلف إلى إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج منهم ابن عباس ، وسائر أصحابه ، ومنهم عروة ابن الزبير وكان يشتد ويغضب إذا ذكر له إنكار السيدة عائشة رضى الله عنها .

وحكى عبدالرزاق عن معمر عن الحسن البصرى « أن محمداً رأى ربه » . وبه جزم الزهرى وهو قول الإمام الأشعرى والإمام أحمد .

أما الروايات عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فقد جاء بعضها مطلقاً وبعضها مقيداً

برؤية القلب والفؤاد فينبغي حمل الروايات المطلقة على المقيدة^(١) .

الروايات المطلقة :

في ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : « أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَالْكَلامُ لِمُوسَى ، وَالرُّؤْيُ لِمُحَمَّدٍ » عليهم الصلاة والسلام وأخرجه ابن خزيمة بلفظ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ ، وَمُوسَى بِالْكَلامِ ، وَمُحَمَّدًا بِالرُّؤْيَةِ ﴾ .

الروايات المقيدة :

ومن الروايات المقيدة ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ . ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ قال : رآه بفؤاده مرتين أى أن المراد بالرؤية في هاتين الآيتين رؤية النبي ربه عز وجل مرتين : ومعنى قوله ﴿ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ على رأى ابن عباس أنه كان للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لأجل التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه في بعضها^(٢) .

وأصرح من ذلك ما رواه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال : « لَمْ يَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَيْنِهِ إِنَّمَا رَآهُ بِقَلْبِهِ » .

وعلى ذلك فيكون التحقيق الذى لا محيص منه أن رأى ابن عباس في الرؤية إنما هي بالقلب لا بالبصر ، وأما كونها بالبصر فلم يثبت عنه ذلك ولا عن غيره من الصحابة قال العلامة ابن كثير في تفسيره ج ٨ ص ١٠١ بعد ما ساق رواية مسلم عن ابن عباس « وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية ، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد ، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة - رضى الله عنهم - وقول البغوى في تفسيره : وذهبت جماعة إلى أنه رآه بعينه - وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم .

(١) فتح البارى ج ٨ ص ٤٦٩ .

(٢) وأما على رأى السيدة عائشة فعنى نزلة أخرى « مرة أخرى وذلك لأن النبي رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها مرتين : مرة وهو نازل من غار حراء ، ومرة بالسمااء ليلة المعراج عند سدره المنتهى .

وقد نفى العلامة ابن قيم الجوزية عن الإمام أحمد أنه قال : « رَأَاهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ » وقال إن من حكى ذلك عنه فقد غلط قال ابن القيم نقلاً عن شيخه ابن تيمية « ولكن لم يقل أحمد - رحمه الله تعالى - أنه رآه بعيني رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم ، ولكن قال مرة : رآه ومرة قال : رآه بفؤاده فحكيت عنه روايتان وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك » (١) .

ومما يؤيد أن الرؤية البصرية لم تقع ما رواه مسلم بسنده عن أبي ذر قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : هل رأيت ربك ؟ قال : « نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ » أى حال بينى وبين رؤيته النور الذى هو حجاباه فكيف أراه وفى رواية أخرى « رَأَيْتُ نُورًا » .

وأصرح من ذلك فى الدلالة على أن الرؤية هى القلبية ما رواه ابن أبى حاتم بسنده عن محمد بن كعب قال : قالوا : يا رسول الله رأيت ربك ؟ قال : « رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ » ثم قرأ ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ .

وروى ابن جرير بسنده عن محسن بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال : قلنا : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : لَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي وَرَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ تَلَا ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ وهاتان الروايتان إن صحتا تكونان من أقوى الأدلة لابن عباس فيما ذهب إليه فى تفسيره لآيتى النجم .

* * *

التَّوْفِيقُ بَيْنَ الْمُثْبِتِينَ وَالنَّافِينَ

وإذا قد انتهينا من استعراض الروايات وتحقيقها إلى أن الثابت عن الصحابة وعلى رأسهم ابن عباس إنما هى الرؤية القلبية ، فيمكننا التوفيق بين النافين والمثبتين ، بأن من نفاها أراد الرؤية البصرية ، ومن أثبت يكون مراده القلبية ، وتكون الرؤية القلبية ليست محل خلاف .

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ج ٢ ص ٤٨ .

مَعْنَى الرُّؤْيَةِ الْقَلْبِيَّةِ

معنى الرؤية القلبية أن يحصل لقلب النبي ﷺ حالة بها يرى الله عز وجل هذه الحالة مثل قوة الإبصار المودعة في العين التي بها تدرك المبصرات وهذه الحالة القلبية فوق العلم والمعرفة .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » بعد ما بين أن ما روى عن ابن عباس محمول على رؤية القلب ما نصه :

« وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر ، وإثباته على رؤية القلب ، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام ، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره ، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين » .

* * *

رَأْيُ ثَالِثٍ

وقد ذهب بعض العلماء إلى التوقف في المسألة ورجحه القرطبي في « المفهم » شرح صحيح مسلم وعزاه لجماعة من المحققين ، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع ، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل ، وليست المسألة من العمليات فيكتفي فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها إلا بالدليل القطعي .

وبعد فهذه خلاصة البحث في الرؤية ، ولعلني أكون قد أصبت في تحقيق الآراء والتوفيق بينهما وتكوين رأي يعتمد عليه في هذه المسألة الشائكة وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

* * *

رُؤْيَا النَّبِيِّ لِرَبِّهِ مَنَاماً

ويسوفنا هذا البحث في رؤية النبي ﷺ لربه في اليقظة إلى البحث في رؤيته ﷺ لربه مناماً ، وهذه الثانية ثابتة في الأحاديث رواها الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه وقال : حديث حسن صحيح .

وإليك رواية الإمام أحمد في مسنده أسوقها بطولها لما فيها من تجليات إلهية وعلم وأدب .

روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال : احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ غَدَاةٍ من صلاة الصبح حتى كِدْنَا نَرَأَى قَرْنَ الشَّمْسِ ، فخرج ﷺ سريعاً فَتَوَبَّ بالصلاةِ فَصَلَّى وَتَجَوَّزَ في صَلَاتِهِ ، فلما سلم قال : كما أنتم ، ثم أقبل إلينا فقال : إني قُتُّ من الليل ، فَصَلَّيْتُ ما قُدِّرَ لِي فَتَنَعَسْتُ في صَلَاتِي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة ^(١) فقال : يا محمد أتدرى فيم يَحْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى ^(٢) : قلت لا أدري يا ربى - أعادها ثلاثاً - فرأيتُه وضع كَفَّهُ بين كَتِفَيْهِ حتى وجدت بردَ أَنَامِلِهِ بين صدرى فتجلَّى لى كلُّ شَيْءٍ وعَرَفْتُ فقال : يا محمد فيما يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى ؟ قلت : في الكَفَّارَاتِ قال : وما الكَفَّارَاتُ ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوسُ في المساجد بعد الصلوات . وإسباغُ الوضوء عند الكريهات قال : وما الدرجاتُ ؟ قلت : إطعامُ الطعام ، ولينُ الكلام والصلاةُ بالليل والناسُ نيام .

قال : سلْ قلت : اللهم إني أسألك فعلَ الخَيْرَاتِ ، وتركَ المُنكَرَاتِ ، وحبَّ المساكين ، وأن تغفرَ لى وترحمَنى ، وإذا أردتَ فِتْنَةً بِقَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غيرَ مُقْتُونٍ ، واسألك حُبَّكَ ، وحبَّ مَنْ يَحُبُّكَ ، وحبَّ عَمَلٍ يَقَرِّبُنِي إلى حُبِّكَ .
فهذه الرؤية إنما كانت مناما ، ومن جعلها يقظة فقد غلط .

- (١) هذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيها رأيان : رأى السلف : الإيمان بها كما وردت مع تفويض علم حقيقتها إلى الله وتزبيحه عن الظاهر المعروف لنا ، ورأى الخلف : التأويل على حسب قواعد الشرع واللغة فيقولون في الصورة : الصفة التى تليق به من الكمال والجلال والجمال ، وفى الكف والأنامل : أن المراد به التجليات الإلهية التى بها يفيض القلب إيماناً وعلماً ومعرفة ، فالكلام من قبيل التمثيل بإظهار المعانى المعقولة فى صور المحسوسات المعهودة . [والذى نراه ونعتقد : أن تؤمن بهذه الصفات كما جاءت ، ولا نكيّف ولا نمثّل ، وأن الإيمان بها واجب . ونرى صواب مذهب السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى كالأئمة الأربعة والإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم . فذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم ، ولا خير فى مخالفتهم] . وهذا للكلام بين القوسين هو آخر ما اعتقده المؤلف رحمه الله ورجع به إلى مذهب السلف فى الصفات وهو منقول من كتابه الاسرائيليات والموضوعات [الناشر] .
- (٢) هم الملائكة الكرام .

قال رسول الله ﷺ : « إِنهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا وَتَعْلَمُوهَا » .

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا شفاعته نبيه ، وأن ينضر وجوهنا بالنظر إليه .

* * *

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ فِي شِعْرِ الشُّعْرَاءِ

لقد استلهم بعض الشعراء المسلمين السيرة النبوية ، واستوحوا حوادثها ومواقفها المشرفة ، فكان من ذلك قصائد شعرية تعتبر من عيون الشعر العربي وأعذبه وأصدقه على مر العصور والدهور ، ومن هذه الأحداث التي سجلوها في قصائدهم (الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ) وسنكتفي من هذه القصائد بما يتصل بموضوعنا الذي حللناه غاية التحليل ، ورأينا أن نختمه بهذه التحف الأدبية ، ولن أستوعب كل ما قاله الأقدمون والمحدثون في هذا ، فذلك شيء يطول ولكني سأكتفي بشاعرين كبيرين من شعراء (المدائح النبوية) الذين سجلوا حوادث السيرة النبوية في ملاحم شعرية .

أحدهما قديم وهو الإمام البوصيري .

والثاني أمير شعراء العصر الأخير أحمد شوقي .

وإليك ما قاله الإمام البوصيري^(١) رحمه الله في الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ .

قال في (بردته)^(٢) المشهورة :

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ	سَعْيًا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْتَنِ الرَّسْمِ
وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ	وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَمِرٍ
سَرَّيْتُ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ	كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

(١) هو الشاعر الصوفي شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري نسبة إلى (بوسير) قرية من قرى بني سويف ولد عام ٦٠٨ هـ وتوفي ٦٩٥ هـ بالإسكندرية وقبره بها مشهور يزار وقد وقع الإجماع على أن قصيدته البردة في مديح الرسول أفضل المدائح النبوية بعد قصيدة بانث سعاد ونحوها من مدائح الصحابة .

(٢) قيل : السبب في تأليفها أنه أصيب بالفالج « الشلل » فنظمها توسلا بها إلى الله فشق وقيل في سبب تسميتها بردة : أن البوصيري بعد ما نظمها رأى النبي ﷺ في المنام فألقاها بين يديه ، فخلع عليه صلوات الله وسلامه عليه بردته الشريفة .

وَبِتَّ تَرْقَىٰ إِلَىٰ أَنْ نِلْتَ مَازِلَ
وَقَدَمَتِكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَأَنْتَ تَحْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ
حَتَّىٰ إِذَا لَمْ تَدْعُ شَاوَا لِمُسْتَبَقِ
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
كَيْمَا تَفُوزُ بِوَصْلِ أَيْ مُسْتَبَقِ
فَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرِكِ
وَجَلَّ مَقْدَارَ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبِ
بُشْرَىٰ لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
لَمَّا دَعَا اللَّهَ دَاعِيَنَا لَطَاعَتِهِ

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تَرْمِ
وَالرُّسُلُ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَىٰ خَدَمِ^(١)
فِي مَوَكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ^(٢)
مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَرْقَىٰ لِمُسْتَبَقِ
نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ
عَنِ الْعُيُونِ وَسِرِّ أَيْ مُكْتَنَمِ
وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحِمِ
وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيْتَ مِنْ نِعَمِ
مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مِنْهُمْ
بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

وقال - رحمه الله - في قصيدته «الهمزية» التي لا تقل عن البردة جلالاً وروعة ،
والتي تفيض إخلاصاً وحباً لصاحب الرسالة ﷺ قال :

فَصَفَى اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ لِلْمَخِ
وَتَرْقَىٰ بِهِ إِلَىٰ قَابِ قَوْسَيْنِ
رُتَبُ تَسْقُطُ الْأَمَانِي حَسْرَىٰ

تَارَ فِيهَا عَلَى الْبَرَقِ اسْتَوَاءُ
مِنْ تِلْكَ السَّيْلَةِ الْقَعَسَاءُ^(٣)
دُونَهَا مَـا وِرَاءَهُنَّ وَرَاءُ^(٤)

(١) هذا نوع من المبالغة دعا إليه الإغراق في الحب ، أو ضرورة القافية والشعر والرسول جميعاً إخوة وليس فيهم خادم ومخدوم وإن كان هناك فاضل وأفضل .

(٢) المعروف في الأحاديث الصحيحة أن الرسول ﷺ لما عُرِّجَ به لم يكن معه إلا جبريل عليه السلام ولم يكن في موكب كما قال البوصيري وإنما كان هذا في بيت المقدس كما ذكرنا نعم لقي النبي بعض الأنبياء في السماوات السبع ولكنهم لم يكونوا في موكب كما قال ولا أدري على أي شيء اعتمد شاعرنا البوصيري - رحمه الله - والشعراء غالباً ما يعوزهم التحقيق التاريخي .

(٣) المشهور في كتب الحديث والسير والتواريخ أنه ﷺ لم يصعد بالبراق ولم يبطأ به السماوات بل ربطه في بيت المقدس بالحلقة التي كانت تربطه بها الأنبياء ولم يزل مربوطاً حتى نزل النبي ﷺ من معراجته ثم ركب وعاد به إلى مكة ، والقعساء : الثابتة الدائمة .

(٤) يعنى : ما قدامهن قدام فورا بمعنى قدام والمعنى : أنه ليس قدامهن مرتبة أخرى يطمع مخلوق في نيلها .

ثم وافى يحدثُ الناسُ سُكْرًا إذ أتته من ربِّه النِّعماءُ
وتحدَّى فارتابَ كلُّ مريبٍ أو يَبْقَى مع السُّيولِ الغُناءُ^(١)
وهو يدعو إلى الإله وإن شقَّ قَ عليه كفرٌ به وازدراءُ
ويدلُّ الورى على الله بالتو حيد وهو المَحَجَّةُ البِيضاءُ^(٢)
فَبِمَا رحمةٍ من الله لانتَ صَخْرَةٌ من إِبائهم صَمَاءُ
واستجابت له بنصرٍ وفتحٍ بعد ذلك الحَضْرَاءُ والغَبْرَاءُ^(٣)
وقال أمير شعراء هذا العصر أحمد شوقي^(٤) - رحمه الله - في قصيدته (نهج

البردة) :

أَسْرَى بكَ اللهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ والرَّسُلُ في المسجدِ الأَقْصَى على قَدَمِ^(٥)
لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التَّفْؤَا بِسَيِّدِهِمْ كالشُّهْبِ بالبَدْرِ أو كالجُنْدِ بالعِلَمِ^(٦)
صلى وراءك مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطِرٍ ومن يَفْزُ بحبيبِ الله يَأْتِمِ^(٧)
جُبَّتِ السَّمَاوَاتِ أو ما فَوْقَهُنَّ بِهِم على مَنْوَرَةٍ دُرِّيَّةِ اللَّجَمِ^(٨)
رَكُوبَةٌ لَكَ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ لافي الجِيَادِ ولا في الأَيْتَنِ الرُّسَمِ^(٩)

(١) فارتاب .. أي عجز وانقطع عن المعارضة كل مراتب . والغناء : ما يحمله السيل من هشيم النبات .
(٢) المحجة البيضاء : الطريق إلى الله النيرة المضئية التي لا يضل سالكها ، ولا ينقطع فيها دون الوصول إلى غايته .
(٣) الحضراء السماء لأنها في رأى العين كذلك ، والغبراء الأرض والمراد المبالغة في تمام النصر وعظم الفتح حتى كأنه شمل السماء والأرض .

(٤) هو أمير الشعراء أحمد شوقي بن علي شوقي كان جده عربياً كردياً قدم إلى مصر وعاش وابنه وحفيده في ظل الأسرة الحاكمة في هذا الوقت وحظوا منه بقصائد رنانة . ولشوقي فضل كبير في إحياء الأبنجد الإسلامية توفي عام ١٩٣٢ .

(٥) على قدم قائمون محتشدون .

(٦) خطرت به : مشيت به .

(٧) خطر : قدر ومترله و« بحبيب الله » متعلق بيا تمم يعنى : ومن يفر بيا تم بحبيب الله .

(٨) مراده البراق وقد حققنا آنفا أن المعراج لم يكن على البراق والظاهر أنه تأثر بالبوصيرى في هذا .

(٩) الأيتن : جمع ناقة وهى أنثى الجمال ، الرسم : الشديدة الوطء لقوتها حتى كأنها ترسم في الأرض بمشيها آثاراً ظاهرة .

مشيئة الخالق البارئ وصنعتة
حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءَ لَا يُطَارُ لَهَا
وَقِيلَ: كُل نَبِيٍّ عِنْدَ رُتْبَتِهِ
خَطَطَتْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا عُلُومُهُمَا
أَحْطَتْ بَيْنَهُمَا بِالسِّرِّ وَانْكَشَفَتْ
وَضَاعَفَ الْقَرَبُ مَا قَلَّدَتْ مِنْ مَنِيٍّ

وقدرة الله فوق الشكِّ والثُّهَمِ
عَلَى جَنَاحٍ وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمٍ
وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ
يَا قَارِيءَ اللُّوحِ بِلِ الْيَمِينِ الْقَلَمِ (١)
لَكَ الْخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكْمٍ
بِلا عِدَادٍ وَمَا طُوِّقَتْ مِنْ نِعَمٍ

وقال في قصيدة (الهمزية) التي عارض بها هزمية البوصيري :

يَا أَيُّهَا الْمُسْرَى بِهِ شَرْفًا إِلَى
يَتَسَاءَلُونَ - وَأَنْتِ أَطْهَرُ هَيْكَلٍ -
بِهِنَّ سَمَوَاتٍ مُطَهَّرًا وَكَلَاهُ
فَضْلُكَ عَلَيْكَ لِذِي الْجَلَالِ وَمِنَّةٌ
تَغْشَى الْغُيُوبَ مِنَ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا
فِي كُلِّ مَنْطِقَةٍ حَوَاشِي نَوْرَهَا
أَنْتِ الْجَمَالُ بِهَا وَأَنْتِ الْمُجْتَلَى
اللَّهُ هِيَ مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِهِ
الْعَرْشُ تَحْتِكَ سِدَّةٌ وَقَوَائِمُ
وَالرِّسْلُ دُونَ الْعَرْشِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ

مَا لَا تَنَالُ الشَّمْسُ وَالْجُوزَاءُ (٢)
بِالرُّوحِ أَمْ بِالْهَيْكَلِ الْإِسْرَاءِ
نُورٌ وَرُوحَانِيَّةٌ وَبِهَاءُ
وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرَى وَيَشَاءُ (٣)
طَوَيْتَ سَمَاءَ قَلْدَتِكَ سَمَاءَ (٤)
نُونٌ وَأَنْتِ النَّقْطَةُ الزَّهْرَاءُ (٥)
وَالْكَفُّ وَالْمِرْآةُ وَالْحَسَنَاءُ
نُزُلًا لِدَاثِكَ لَمْ يَجْزُ عَلَاءُ (٦)
وَمَنَاقِبُ الرُّوحِ الْأَمِينِ وَطَاءُ (٧)
حَاشَا لَغَيْرِكَ مَوْعِدٌ وَلِقَاءُ

(١) كناية عن اطلاع الله له ﷺ على ما أطلعته عليه من الغيوب .

(٢) الجوزاء : برج في السماء .

(٣) ما يرى : ما يعلم .

(٤) المراد إعلام الله سبحانه وتعالى لنبه محمد ما شاء من علوم الغيب .

(٥) يعنى أنه ﷺ من النور والبهاء والجمال بمنزلة النقطة من حرف النون .

(٦) حظيرة القدس : مكان القدس وهو الطهر وتطلق أيضاً على الجنة ، التزل ما يعد للضيف .

(٧) لم يثبت في الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ وطىء العرش أو علاه وكل ما يثبت أنه جاوز سدرة المنتهى ولعله

من خيال الشعراء أو أخذه من بعض الكتب التي لا تعنى بالتحقيق .

أمل ورجاء

وبعد :- فهذه قصة الإسراء والمعراج ذكرتها كما استقيتها من أصح الأخبار وأوثقها وأجدرها بالقبول . وأملى ورجأت أن يتخذ منها الوعاظ والمرشدون ، والأئمة والخطباء ، والمحاضرون والكاتبون . مادة خصبة في وعظ الناس وإرشادهم ، وفي خطبهم ومحاضراتهم ، وأن يكفوا عن ذكر القصص الذي لا سند له يصح عند التحقيق .

وأن يتخذ منها المنشدون ، وقارئوا الموالد ، والمتغنون بالخصائص المحمدية مادة صحيحة لإنشادهم فإن كثيرا من هؤلاء يأتون بغرائب كثيرة قد تشوق الناس وتستولى على وجدانهم ، وإن لنا في الثابت الصحيح ما يغني عن التزيد والاختلاق .

هذا وقد بذلت في هذه (الرسالة) غاية جهدي حتى تأتي محررة من كل زيف أو تزيد ، وحرصت - ما استطعت - أن تكون بأسلوب سهل مبسط مستساغ يجد فيه العالم المتخصص ما يشبع نهمه ويرضى غريزته ، ويجد فيها الباحث ما يسعفه في البحث ، ويجد فيها القارئ المتوسط ما يبصره بلون من ألوان الثقافة الإسلامية الصحيحة .

فإن كنت وافقت الصواب فبتوفيق من الله وفضل ، والحق أردت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نبي الهدى والبر والرحمة وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وكتبه أبورضا

محمد محمد أبوشهبة

الفهرس

٤	تقديم
	الفصل الأول
٥	حاجة البشر إلى الرسل
٦	الإنسان ليس عقلاً مجرداً
٦	شعور الإنسان الفطرى بحياة أخرى
٧	العقل لا يكفى وحده
٧	لا يمكن أن ينى بهذا الغرض إلا التشريع السماوى
٨	الرسل مبلغون عن ربهم
٨	من هم الرسل ؟
١٠	ما هى المعجزة
١١	المعجزة ليست من المستحيلات العقلية
١١	المعجزة ليست من صنع الأنبياء
١٢	الفرق بين المعجزة والمخترعات
١٢	الفرق بين المعجزة والسحر
١٢	الفرق بين المعجزة والكرامة
١٣	معجزة الأنبياء وملاءمتها لأزمانها
١٥	المعجزات النبوية المحمدية
١٥	المعجزة الكبرى
١٥	المعجزات الحسية
١٧	المعجزات المحمدية منها ما تواتر ومنها ما لم يتواتر
٢٠	المنكرون للمعجزات الحسية

الفصل الثاني

٢٣ قبيل الإسراء والمعراج
٢٤ توجه إلى الله بالدعاء
٢٥ في الإسراء والمعراج تسرية عن نفس الرسول
٢٥ ما هو الإسراء والمعراج
٢٥ ثبوت الإسراء والمعراج
٢٧ الإسراء والمعراج بالجسد والروح
٢٨ القائلون بأنهما كانا بالروح
٢٨ القائلون بأنهما كانا مناماً
٢٩ الفرق بين كونهما بالروح وكونهما مناماً
٣١ الإسراء ووحدية الوجود
٣٢ بطلان فكرة وحدة الوجود
٣٤ متى كان الإسراء والمعراج
٣٦ في أى سنة وشهر كان الإسراء والمعراج ؟
٣٧ إمكان الإسراء والمعراج
٣٩ الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج
٤٠ رواية البخارى في صحيحه
٤٤ رواية الإمام مسلم في صحيحه
٤٥ رواية أخرى للإمام مسلم

قصة الإسراء والمعراج

٤٨ ثناء الأنبياء على ربهم
٤٨ ثناء الخليل
٤٨ ثناء الكليم
٤٩ ثناء داود
٤٩ ثناء سليمان

٤٩ ثناء عيسى
٤٩ ثناء محمد
٥٠ ما رآه النبي في مسراه
٥٣ المعراج
٥٥ في صبيحة ليلة الإسراء والمعراج
٥٥ الاختبار
٥٧ صلاة جبريل بالنبي ﷺ
٥٨ توضيحات وتعليقات
٦١ استطراد لازم
٦٥ هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج ؟
٦٥ النافون للرؤية
٦٧ القائلون بالرؤية
٦٨ الروايات المطلقة
٦٨ الروايات المقيدة
٦٩ التوفيق بين المشتين والنافين
٧٠ معنى الرؤية القلبية
٧٠ رأى ثابت
٧٠ رؤية النبي لربه مناماً
٧٢ الإسراء والمعراج في شعر الشعراء
٧٦ أمل ورجاء